

أرشيفو

ARCHIVO

نشرة تهتم بموضوعات الأرشيف تصدر عن
مركز أوال للدراسات والتوثيق

أرشيفو

ARCHIVO

نشرة تهتم بموضوعات الأرشيف تصدر عن
مركز أوال للدراسات والتوثيق

العدد 1 - شباط/ فبراير 2016

نشرة تصدر كل شهرين عن مركز أوال
للدراسات والتوثيق، تحت عنوان (أرشيفو)
تعنى بقضايا الأرشيف، تنطلق من البحرين
إلى الخليج إلى العالم العربي وخارجه.

تغطي النشرة المجالات التالية: المشكلات
التي تواجه الأرشيف، طرق حفظ الأرشيف،
التعريف بأصحاب الأرشيف الأهلي ومراكز
الأرشيف الرسمي، التعريف بالمدونات
والمواقع الإلكترونية المهتمة بالوثائق
والأرشيف، ترجمة المقالات المنشورة بلغات
أجنبية، مراجعة الكتب المتعلقة بالأرشيف
ومتابعة الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة
بالذاكرة والأرشيف.

عنوان النشرة يشير إلى أن كلمة (أرشيف
Archives) متقاربة النطق والكتابة والجذر
في أغلب لغات العالم، وفي اللغة البرتغالية
تنطق هكذا (أرشيفو Arguiv).

رئيس التحرير : د. علي الديري
مدير التحرير : وسام السبع
سكرتيرة التحرير : آلاء هاشم

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION



info@awalcentre.com | www.awalcentre.com



awalcentre

الفهرس

5

5

1 | الافتتاحية

«من دون وثائق ينتفي وجود المرء أيضاً»

8

9

15

2 | أمناء الذاكرة

الشيخ الدكتور «جعفر المهاجر»: دار حفظ التراث البحراي..
مؤسسة تجمع بين فلسفة العمل الفردي والالتزام بالرؤية المؤسسية

22

23

3 | ديوان الذاكرة

مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت.. أرشيف تاريخي واقتناء لكل ثمين

32

33

35

39

41

4 | ثقافة أرشيفية

السجلات الوطنية في بريطانيا.. مفتوحة أمام العامة
التوقيع الرقمي.. نموذج للتحويل من الورق إلى الإلكترونيات
تشريعات الأرشيف العربي بين الفراغ القانوني والتأثير السياسي
المخطوطات العربية والعجمية في الكامرون.. شاهد على تاريخ البلاد

44

45

5 | وثيقة وحكاية

جزر البحرين بين حكم «الهرامزة» وأطماع القبائل العربية

50

51

54

57

كشكول

6

السيد الغروي البحريني .. فصل من رحلة في الغربية
حديث الحمير .. حكايات أيام زمان
حياة الناس في القرية البحرينية «قبل النفط»

60

متابعات

7

74

75

ذاكرة الصورة

8

«الدير» في صورة

الافتتاحية

«من دون وثائق ينتفي وجود المرء أيضاً»

رئيس التحرير

كي لا ينتفي وجودنا ولا تنتفي الحقيقة ولا تنتفي جهود الذين يشتغلون في الوثيقة، تأتي (أرشيفو). أردناها شاهدة على وجودنا حيث ما كان، وكيف ما كان. حيث كان في الهامش أو في السلطة، وفي الحاشية أو المتن، وكيف كان ظالماً أو مظلوماً، ومتقدماً أو متأخراً، ليست مهمة الأرشيف أن يجمل الحقيقة، بقدر ما مهمته حفظها وقولها من دون أن ينتظر قبولا أو استحساناً من أحد.

ندرك أن «ما من سلطة سياسية دون سيطرة على الأرشيف» ورسالتنا في مركز أوال للدراسات والتوثيق هي العمل على تحرير الأرشيف من السيطرة وتسهيل عملية الوصول إليه. في حدود إمكاناتنا، تمكنا من الوصول إلى الأرشيف البريطاني المتعلق بالبحرين (18 مجلدا) وشرعنا في ترجمته وسيكون للمرة الأولى متوافرا الوصول إليه. كما قمنا بتأسيس أرشيف إلكتروني لتاريخ البحرين، وقريباً سيتاح للجمهور الوصول إليه عبر الإنترنت. كما أطلقنا سلسلة أبحاث تاريخية معنية بالبحرين، وقد صدر منها خمسة كتب والبقية تأتي. وفي هذا السياق تأتي مجلة (أرشيفو) إنه سياق تعزيز حرية الوصول إلى أرشيف المعلومات «فالديمقراطية الحقيقية يمكن قياسها دائماً في حرية الوصول إلى الأرشيف».

لقد وجدنا أن كلمة أرشيف مشتقة في جميع لغات العالم من (Archive) ونطقها متقارب إلى حد التطابق، اخترنا من بين صيغ اللغات صيغة اللغة البرتغالية أرشيفو (أرخيفو) Arguivo وذلك لنعطي للتسمية طابعاً يجمع بين العربي وغير العربي، ولندلل على وحدة جذر التسمية في اللغات، والاهتمام العالمي المشترك بالأرشيف.

(أرشيفو) تهتم بالأرشيف المكتوب والشفهي وقضاياه وإشكالاته على مستوى العالم العربي، ستصدر كل شهرين في سنتها الأولى، وهي تدعو جميع المهتمين بالأرشيف للمشاركة في صياغة خطابها وتحرير موادها.







آمننا بالكتاب

أمناء الذاكرة

الشيخ الدكتور «جعفر المهاجر» المؤرخ العاملي الأول الذي يعيد للتاريخ بريقه

تحقيق عن المكتبة التاريخية التراثية وسيرة البحث التاريخي عند الشيخ المؤرخ «المهاجر»

زينب الطحان*

9

هو كسر العرف الاجتماعي القائل إن الصبي الوحيد للعائلة يُدَلُّ حتى يُفسد، سار في درب مغاير تماماً. سأل جده الشيخ حبيب حين كان في الرابعة عشر من عمره بعدما عاد من حوزة النجف الأشرف: «كيف تمكنت من إرسالني للنجف وأنا في عمر عشر سنوات؟ فالتفت إليّ وقال لي: «يا جدي؛ أنت كنت في نظرنا كبيراً...!!». هل يعقل أن ترى اليوم ابن عشر سنوات يقرأ أقدم كتب التراث التاريخي التي تحتكم إلى لغة عربية بلسان فصيح يحوي أعقد العبارات والمصطلحات؟!.. في أيامنا بات صعباً تصديق مثل هذه الرواية، ولكنّ المؤرخ العاملي الدكتور الشيخ جعفر المهاجر حُطَّ لحياته هذا المسار من قبل عائلته وهو تقبّله سعيداً معترّفاً وبذل كل جهده ليكون فخر العائلة وفريدها.

الرحلة مع الكتاب، قراءة ومطالعة واقتناء، بدأت وهو لم يتجاوز العشر سنين، وقع نظره على كتاب الشيخ أبي الفتح محمّد بن علي بن عثمان الكراچي، في مكتبة جده العلامة الشيخ حبيب آل إبراهيم المهاجر العاملي (1886 - 1965)؛ كانوا يومها في خمسينيات القرن الماضي يستمعون إلى قصص الحكواتي وكان كتاب الكراچي واحداً من الكتب النفيسة التي تروي القصص الغريبة. يروي الشيخ المؤرخ أن الكراچي كان جوالاً بدءاً من العراق وكل الساحل وإلى فلسطين وفي طرابلس في لبنان، روى في كتابه قصص الإمارات الشيعية التي لا ذكر لها أبداً في كتب التاريخ المعتمدة. هذا الشيخ الكراچي هو أول من أنشأ الصلة بين شيعة الشام وشيعة العراق حين ذهب إلى بغداد ودرس عند الشيخ المفيد ورجع إلى بلاده؛ ومنذ ذلك الوقت انفتح الطريق لتشكّل صلة فكرية وثقافية ودينية بين المنطقتين، حيث كان التشيع آنذاك مختلفاً عمّا نعرفه اليوم. هذا الكتاب تعلّق به وهو في تلك السن طلب من جده أن يسمح له بأخذه معه إلى النجف، بقي معه طوال سني دراسته حتى عودته إلى مسقط رأسه في بعلبك، ولا يزال إلى اليوم في مكتبته النفيسة. ويؤمن الشيخ

المؤرخ أن القدر الإلهي شاء له أن يعود ويؤلف كتاباً خاصاً عن الشيخ الكرجي، ولشدة فرادته أصبح الكتاب مرجعاً أوحداً عن هذا العالم الجليل.

كان شغوفاً بالمطالعة وهو ابن سبع سنين، العائلة كلها كانت تصب اهتمامها عليه ليصبح ذي شأن، وكان لافتاً أن الصبي قد بدأ يقيم وزن الشعر العامودي، فعقد معه جده العلامة الشيخ حبيب صفقة بأن يعطيه ربع ليرة على كل بيت شعر ينظمه. وأضحت جيبه لا تخلو من القروش. كانت فيما بعد عوناً له ليشتري ما يحلو له من الكتب.

وعلى حداثة سنّه يجمع الكتب، أضحى عنده اليوم وهو في عمر 74 عاماً، أكثر من 20 ألف كتاب. إلا أن تلك المرحلة كانت ممهدة لمرحلة لاحقة، انتبه فيها الدكتور المهاجر إلى أن تاريخ الشيعة في العالم العربي وفي العالم عموماً غير معنى به، هذا فضلاً عن التشويه الكبير الذي يلحق به في كتب التاريخ المعتمدة والتي تعدّ ذات ثقة رسمية من قبل الشعوب وأصحاب الحضارات في العالم. وهذا ما أرقّه للغاية. فاتخذ لنفسه منذ أربعين عاماً خطأً علمياً يولي اهتمامه بالتاريخ الشيعي في العالم، وبشكل خاص للتاريخ الشيعي في المنطقة الشامية.

يقول المؤرخ المهاجر : «نحن نعاني من أزمة مستحكمة مع التاريخ السبب أن من يكتب التاريخ يعبر عن اعتزازه بحضوره في الحركة التاريخية، ونحن الشيعة غالباً لم نكن في موقع السلطة. وحتى الذين ينتسبون إلى التشيع لم يدخلوا إلى السلطة بهذه الصفة. فالبويهيون الذين حكموا قسماً واسعاً من مشرق العالم الإسلامي العراق والعجم وإيران هؤلاء دخلوا في سياسة المنطقة بصفتهم مغامرين عسكريين وليس بصفتهم شيعة. وعلى كل حال هم لم

يكونوا شيعة على الأرجح كانوا زيديين. لم نكن في مواقع تجعلنا نملك الحوافز لكتابة التاريخ. لذلك فأنا وجودنا في التاريخ كانت تتلاعب به السلطات المحلية. وذلك لسببين: السبب الأول؛ أن كل من يملك السلطة يحاول أن يملك التاريخ، وهذه قاعدة معروفة وتقدم بشكل مبهرج. وقد يقال أن من يكتب التاريخ هو من يملكه. هذا وهم لا أحد يملك التاريخ. التاريخ نهر جارٍ نحن كلنا واقفون على ضفافه، فالتاريخ يملك الكل. إضافة إلى ذلك، انه جرت العادة أن من يكتب التاريخ يحتله ويغيب الآخر. ومن هنا فإن المنطقة الشامية الممتدة بين عسقلان وبين الباب التركي ومن البحر إلى البادية منذ القرن الثاني إلى القرن السادس، ما عدا المدن الرئيسية، بشكل خاص دمشق حيث مركز السلطة وقوتها، كان تاريخ الشيعة فيها مقبولاً على مستوى كبير دفعني لكتابة تاريخ الشيعة لأن هناك ما يستحق أن نحفره في ثنايا ذلك التاريخ لنستخرج منه تاريخنا الخاص..».

وكان لدى الدكتور المهاجر قناعة ثابتة دفعته هي الأخرى للنبش في التاريخ الشيعي والبحث عنه وكتابته، أن المنطقة الشامية كانت مليئة بالأسرار، «أسرار تاريخنا كله»، وكان هذا التاريخ مدفوناً عند أهله لا أحد يعرف عنه شيئاً. وفي هذا النطاق سادت أساطير عديدة تقدم تفسيرات خيالية لبعض الظواهر التاريخية التي هي محل تساؤل الناس. ومن ذلك مثلاً: أن سبب تاريخية الشيعة في البقعة المباركة في جبل عامل يرجع إلى الصاحب الجليل أبي ذر الغفاري. و«هذا تفسير علمي صغير»، كما وصفه الشيخ. إلا إنه في المقابل لم ينف كلية احتمال مرور الصحابي الغفاري على المنطقة والأثر الذي تركه فيها، إنما مروره هذا كان سريعاً وعابراً، وتالياً هو أصغر بكثير من ظاهرة

تاريخ التشييع في المنطقة الشامية
اجمالا هو جزء من الظاهرة الاكبر التي
هي الهجرة الهادرة التي اتجهت
من الحجاز والعراق صوب المنطقة
الشامية، ومن خلال هذه الهجرة أثبت
كيف جرت الهجرة الهمدانية الكبرى.

كبيرة كانت تجتاح المنطقة الشامية كلها. وهذه الراوية
شفوية تناقلتها الأجيال، التي أردات تشريف تاريخها
الضائع، بل إن ظاهرة التشييع في جبل عامل هي ظاهرة
أكبر من جبل عامل تتصل بالتشييع في المنطقة الشامية
التي كانت في البلاد ما قبل القرن الرابع.

ويتابع الشيخ المؤرخ روايته مع التاريخ الشيعي وقصة
مكتبته التاريخية، ليقول إن هذا التاريخ الضائع وذلك
«التفسير الصغير»، لم يقنعه، فبدأ بالبحث عن السر.
فوجد أن المنطقة الشامية بُنيت لتكون ركيزة مناهضة
الولاء لأل بيت النبي (ص)، والتي بقيت تحت حكم
بني أمية ما يزيد عن قرن من الزمان. لكن مع واقعة
كربلاء حين حُملت الرؤوس والسبايا والأطفال وسبق بهم
في أنحاء الشام، مستعرضا (الطاغية يزيد) نصره الغبي
مدعيا أنهم مجموعة من الخوارج على حكمه، انقلب
المشهد كله وبانت خديعته للناس الذين أظهروا غضبا
عارما على الواقعة الجريمة. فبدأ التشييع يظهر وجهه
في هذه اللحظة، وهذا ما عرضه الشيخ المؤرخ في أول
كتبه عن تاريخ تأسيس الشيعة في لبنان وسوريا. فتاريخ
التشييع في المنطقة الشامية اجمالا هو جزء من الظاهرة
الاكبر التي هي الهجرة الهادرة التي اتجهت من الحجاز
والعراق صوب المنطقة الشامية، ومن خلال هذه الهجرة
أثبت كيف جرت الهجرة الهمدانية الكبرى. ويؤكد الدكتور
المهاجر: «في الحقيقة بدأت من هذه النقطة، حين فسرتُ
لغزاً تاريخياً كان مغلقاً...».

غير أن أدوات هذا البحث التاريخي المضني لم يكن سهلاً
على الإطلاق، لأكثر من سبب، وأهمها تقصّد إغفال التاريخ
الشيعي من قبل مؤرخي السلطات المتعاقبة. وبشبه
الشيخ المؤرخ الأمر بلوحة فيسفساء نادرة، يتمّ جمع



بلغات أربع: العربية والإنكليزية والفرنسية والفارسية، وهي اللغات التي يتقنها الشيخ ويقرأ بها.

مكتبة الشيخ المهاجر لضخامتها لا يسعها مكان واحد، لذا هي موزعة بين مكانين أساسين: الأول في مركز «بهاء الدين العاملي» حيث تجري عملية بناء وتركيب في الوقت الراهن لاستيعاب أكبر عدد ممكن من الكتب والمراجع. والمكان الثاني هو في منزل الشيخ نفسه حيث يخصص لها الطابق العلوي متوزعة على الغرف ورفوفها. والمكتبة، سواء في المركز أو في منزل الشيخ، هي منظمة بشكل علمي ممنهج. والقسم الأكبر من هذه المكتبة الثرية يحتله التاريخ. ويشرح الشيخ المهاجر أن لكتب التاريخ في مكتبته قسمين: الأول تاريخ حداثي والثاني تاريخ شخصي. التاريخ الحداثي، يحكي الأحداث. وهو بدوره قسمان؛ قسم أمهات الكتب يُعنى بالاصول التاريخية؛ وقسم أبحاث ونصفه في تاريخ الأمهات ونصفه الآخر في الأبحاث. ولكن الأهم عند المؤرخ المهاجر «تاريخ الرجال»؛ الأشخاص؛ السير؛ أو ما يسمونه طبقات أو أعلام أو رجال أو تراجم؛ والمؤدى واحد. وهي مع كبرها تعدّ من أكثر المصادر براءة بالنسبة للمؤرخ.. إذ لا يؤمن الشيخ المهاجر بأن هناك مؤرخاً حيادياً، إذ دائماً المؤرخ يكون مرئياً من قبل السلطة ويراعيها، فالمسعودي وابن الأثير مشهوران بأنهما أكثر المؤرخين سلطوية، بشكل مغاير تماماً للجوال اليوناني (نسبة إلى بلدة يونين البقاعية) الذي يعدّ كتابه أكثر الكتب براءة كونه كان يعتاش من الأرض ولم يكن يهمله أحد من السلطة.. لذلك الجزء الكبير المقتدى به هي سير الأعلام والتراجم والطبقات..

ولم يغفل العالم الفقيه الشيخ المهاجر أن تشكّل الكتب الفقهية جزءاً من مكتبته، وهي تحتل القسم الثاني من حيث الحجم والأهمية لكتب التاريخ، ومن ثم تأتي كتب

حباؤها بعناية ودقة حتى تشكّل وحدة متكاملة، فقد كان يجمع المعلومات، معلومة معلومة من مصادر ومراجع لا تحصى ويقابلها في ما بينها وبين سياق تاريخي كبير حتى صارت تضيء له الحقائق الواحدة تلو الأخرى. «فجأة يضيء لك الغامض حتى تنبثق أمامك مثل السحر» حين يتم الاطلاع على اللحظة التاريخية. ويلفت «المهاجر»، إلى أن هناك أمراً مهماً يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، «فمن يركب الفيسفساء يجب أن يكون هناك صورة في ذهنه مسبقاً يطبقها على اللوحة التي يرسمها. يقابلها في العمل العلمي أن المؤرخ يجب أن يكون مستوعباً لكل الفترة حتى يعرف أين يركب كل معلومة مكانها الصحيح فتنبثق أمامه رؤية تاريخية كبيرة» مثل غرفة دخلتها وهي مظلمة ثم تشعلين النور وإذ بكل شيء أمامك يصبح مرئياً».

المكتبة الأثرية.. تاريخ مضيئ في مدينة الشمس

من هنا أتت المكتبة المؤلفة من 20 ألف كتاب، متخصصة فضلت على قياس توجهات الشيخ المؤرخ وهو البحث في تاريخ الشيعة في العالم وفي المنطقة الشامية تحديداً. والمكتبة القابعة في مدينة بعلبك الشامخة، هي في السنوات الأخيرة تنمو مع الحاجة التي يفرضها «مركز بهاء الدين العاملي»، وهو مركز مستحدث أنشأه الدكتور المهاجر ليكون حركة مكتملة مع تواجد المكتبة الضخمة ممّا يفعل من تراثها النادر في خدمة البحث التاريخي.

يحكي الشيخ المهاجر عن رحلات سفر عديدة وطويلة كان يقوم بها مراراً في سبيل تأمين ما يلزمه من كتب ومراجع ومصادر لمكتبته ولأبحاثه التاريخية الخاصة. مصر وسوريا كانتا البلدين الأبرز في هذه الرحلات إضافة إلى إيران والعراق، حيث يعود منهم بشحنات كبيرة من الكتب



تفسير القرآن الكريم والحديث، والقسم الثالث الشعر والشعراء. والجغرافيا أيضاً لها حيز مهم في المكتبة الضخمة، حيث يراها «المهاجر»، مرجعاً أساسياً في العديد من المحطات وتزود بمعلومات مهمة لا تذكرها كتب التاريخ، ونجدها في البلدنيات وكتب الأنساب والتي يعتني بها المؤرخ كثيراً. كتب الأدب هي الأخرى لها موقعية خاصة في هذه المكتبة إذ تعدّ من المراجع الاساسية في كتابة التاريخ ففيها ما هو أقرب للواقع والحقيقة أكثر من كتب المؤرخين التابعين للسلطة.

أما المخطوطات فلها حكاية أخرى، هي ليست كثيرة ولكنها مخطوطات نادرة توجد في هذه المكتبة البعلبكية العاملة التراثية. ويقول الشيخ المؤرخ إنه فعلاً لم يكن مهتماً بالمخطوطات غير أنه في رحلاته المتعددة وقع بين يديه عدد منها ويصل عددها اليوم نحو العشرين. منها واحدة لأحد علماء بلدة الكرك البقاعية الذين لا ذكر لهم في كتب التاريخ، وهي مكتوبة بخط يده. والمقصود بالمخطوطة أنها كتاب مكتوب بخط اليد في مقابل المطبوع. وقد تكون مكتوبة بخط صاحبها فنقول عنها أصلية. ويمتلك الشيخ في مكتبته مخطوطات لعالم من «أبي زيد» الذي انحدر من الكرك البقاعية إلى جزين الجنوبية، فأصبح لهذه العائلة فرعان شيعي ومسيحي. ومخطوطة أخرى جميلة جداً بخط نستعليق للملا الشيرازي. غير أن هناك مشكلة كبيرة يواجهها الشيخ للحفاظ على جودة هذه المخطوطات. إذ إنها تتطلب مكاناً خاصاً مجهز علمياً ليحفظ هذه المخطوطات ويحافظ عليها من الرطوبة والتلف. وللأسف لا يوجد في لبنان مثل هذه الإمكانيات تساعد في ذلك. لذا هو يقوم أحياناً بوضع بعض هذه المخطوطات في «البراد» لحمايتها والإبقاء على حياتها أطول فترة ممكنة.

«مركز بهاء الدين العاملي» والبحث في التاريخ :

باشر الشيخ الدكتور جعفر المهاجر رحلته في البحوث التاريخية منذ أربعين عاماً، يواصل فيها دأبه ويحفر في الماضي السحيق والقريب. ومثل أي عالم فذ قد يشده حدث ما إلى تتبع مسار محدد في حياته، وقع «المهاجر» تحت تأثير حبه للشيخ محمد بن الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي الجبعي العاملي، المعروف بالشيخ البهائي. وتعلّق به وكان كتابه «الكشكول» نقطة الانطلاق الأكبر له نحو متابعة البحث التاريخي بشكل أكثر جدية. إذ تبين له أن متابعة سيرة الشيخ البهائي يقتضي منه العودة إلى ذلك الماضي الذي تأسس به التشيع في المنطقة والذي انبثق فيما بعد في بلاد العجم «إيران». فالشيخ البهائي لا يزال إلى اليوم يعدّ الشخصية الأبرز في إيران، نظراً لدوره الكبير والساطع في إخراج التشيع في

إلى اليوم، وصل تعداد الكتب التي طرحها الشيخ المؤرخ نحو ثلاثين كتاباً في تاريخ الشيعة في المنطقة العربية وفي العالم، وأخرها كان كتاب «التاريخ السري للإمامة»، بين فيه أسرار تاريخية حول العمل السري الذي قاده الأئمة (ع) منذ الإمام الصادق حتى الإمام العسكري. «في الحقيقة نحن موجودون بفضل هذه المرحلة التاريخية. وسابقاً كانت المرحلة عبارة عن استيعاب للحدث وليس صنعه. فمع الإمام الصادق إلى الإمام العسكري بنيت ذاتنا كموالين لأهل البيت (ع)، وبدأ يصبح التشيع الظاهرة الأكثر نشاطاً وفعالية».

المميز في «مركز بهاء الدين العاملي»، في مدينة بعلمك، أنه يقدم مؤلفات الشيخ المهاجر يسر وسهولة إلى كل المهتمين عبر طرحها في متناول اليد من جهة، إذ توزع مجاناً، وإرسالها إلى دور النشر للمشاركة في المعارض العربية، ومن جهة ثانية ينشر هذه الكتب على الموقع الإلكتروني للمركز. وهناك تجاوب كبير مع هذه المؤلفات التي انفتحت أمامها الحدود الجغرافية بشكل كبير.

يختتم المؤرخ الكبير الدكتور جعفر المهاجر حديثه إلى مجلتنا: «الحمد لله قطعنا مسافة جيدة في كتابة التاريخ الشيعي، إذ خلقنا للجيل القادم عناوين مهمة وأرضية جيدة، والأهم عندي العناوين. ففي السابق لم يكن هناك من عنوان أصلاً.. فسّلمنا لهذا الجيل المفاتيح التي سينطلق منها، وبشكل خاص لمنطقتنا الشامية، التي لم تحظ بتاريخ مشرف إلا مع مجيئ النبي الأعظم (ص) ورسائله الإسلامية التي جعلت من أمة ذات حضارة...».

* كاتبة وإعلامية لبنانية

إيران من حال الميل الشخصي ذات الولاء الغامض إلى موقع الإمام العارف، أي من موقع المؤمن البسيط السطحي إلى موقع المؤمن العارف. من هنا أصدر المهاجر كتابه الأول في رحلة بحثه الخاص عن «الهجرة العملية إلى إيران في العصر الصفوي».

ومن ثمّ اتجه أكثر إلى تأصيل التاريخ لمنطقة جبل عامل، انطلاقاً من إيمانه أن المنطقة الشامية «سرتنا كلّ فيها»، بدأ مع الشهيد الأول الشيخ محمد بن مكي العاملي الجزيني الذي أصدر عنه كتاباً، قبل شهرين، وبنائه للنهضة في جبل عامل التي استمرت قرنين من الزمن وانجبت مئات العلماء والاف المؤلفات. ففي مرحلة تاريخية محددة كان هناك منطقة وحيدة مضيئة في كل المنطقة الشامية اسمها «جبل عامل». وجبل عامل- كما يقول «المهاجر»- ليس له حدود جغرافية؛ هو ليس دولة بالمعنى السياسي بل هو حال ثقافية دينية غير محدودة يمكن. بدأت في جزين «بلدنا السليب»، وامتدت من مشغرة إلى كرك نوح في البقاع وإلى كل قرى البقاع الغربي والأوسط، لذلك عندما تأخذين كتاب «أمل الآمل في علماء جبل عامل» للشيخ الحر العاملي تجددين أنه يهتم بالأعلام الكبار العظام الذين خرجوا من كرك نوح. ولاحظي أنه سمي «العاملي»! من هنا نعرف أن جبل عامل ليس له حدود جغرافية..».

والجدير بالذكر أنه بعد هذه النهضة حدث انهيار كبير في جبل عامل بفعل اضطهاد العثمانيين الذين ظلوا يلاحقون العاملين حتى العام 1918، فحدثت هجرة جلاء هذا الاضطهاد إلى آسيا وإيران والهند، فانتشر التشيع بشكل كبير في هذه الأقطار. كل هذه الموضوعات أُلّف فيها الشيخ المهاجر الكتب والأبحاث.

دار حفظ التراث البحراني.. مؤسسة تجمع بين فلسفة العمل الفردي والالتزام بالرؤية المؤسسية

وسام السبع*

تبدو تجربة السيد محمود الغريفي البحراني إحدى التجارب العلمية الرائدة في مجال إحياء تراث علماء البحرين وحفظه. ليس بوصفه مؤسساً لدار حفظ التراث البحراني المعنية بنشر تراث البحرين العلمي والادبي وتحقيقه فحسب؛ بل لكونه أحد من ترجموا همومهم وتطلعاتهم المعرفية إلى واقع حي، وحركة دؤوبة ونشاط لا يفتر وفق صيغة عمل مبرمجة ومدروسة.

15

تستفيد هذه الحركة من إمكانات ومكتسبات العمل الجماعي، وتفتح على كل الساحات باتساع المهجر من العراق وإيران إلى الهند وباكستان مروراً ببيروت والشام إلى مشارف القارة الأوربية. دون أن تحدّ من القدرة على التعبير عن التوترات المعرفية الخاصة، أو تلتزم بالخط المرسوم لها سلفاً في مجال لطالما عشقه السيد الغريفي في فترة مبكرة من حياته العلمية، وأبدع وسكب فيه حبراً كثيراً، وهو مجال التراجم والسير. ومؤخراً، شرع بتكريس جهوده في جمع وتحقيق التراث العلمي البحراني.

السيد محمود الغريفي أحد من سكنتهم هموم الكبرى منذ حداثة سنّه، فشغلته هموم البحث والتأليف. وباشراً حراكه الاجتماعي والديني مسنوداً بذخيرة علمية وحصيلة ثقافية هائلة امتزجت بالاستعداد الفطري والقابليات الشخصية الجمّة والطموح الجامح والمهارات الخطابية. هذا كلّه جعل من الغريفي أحد أركان العمل الديني والنشاط الثقافي في منطقتة. وكانت ساحة عمله الأولى في إسكان عالي بمملكة البحرين، قبل أن تتعاظم مساحات حركته إلى الإطار الدولي العابر للقارات والحدود الجغرافية للدول.

السيد محمود ابن السيد مصطفى ابن السيد حسين ابن السيد ابراهيم ابن السيد محسن ابن السيد عبدالله ابن السيد احمد ابن السيد عبدالله ابن السيد أحمد ابن السيد علي ابن السيد علوي ابن السيد احمد المقدس ابن السيد هاشم البحراني ابن السيد علوي (عتيق الحسين) ابن العلامة السيد حسين الغريفي. ولد في «النعيم» في البحرين عام 1972،

ونشأ وأكمل دراسته الأكاديمية فيها إلى جانب مقدمات الدراسة الحوزوية، ثم هاجر إلى مدينة قم المقدسة، في العام 1986، لطلب العلم فحضر دروس البحث الخارج على أساتذتها الأعلام كالشيخ جوادى الآملى، والشيخ جعفر السبحاني وغيرهم.

نشر السيد الغريفي العديد من المقالات والدراسات في مختلف المجالات. وكان يرأس تحرير مجلة مرآة الكتب الشهرية، وهي نشرة شهرية توثيقية ترصد حركة الكتاب في الجمهورية الإسلامية، صدر منها ما يزيد على 62 عدداً.

بالإمكان تقسيم أعمال السيد الغريفي ومصنفاته إلى ثلاث مجموعات، المجموعة الأولى: التصنيف، المجموعة الثانية: الإعداد والتحقيق، والمجموعة الأخيرة الشرح والتيسير.

أولاً : التصنيف

منذ بداية حياته العلمية زاول السيد محمود الغريفي الكتابة. وكانت من أوائل الكتابات التي أنجزها، وهو في حداثة سنه، كتاب صغير وضعه حول المرحوم الشاب أحمد القزاز المتوفي عام 1991م، في مطلع تسعينيات القرن الماضي. ولقد وقع في يدي حينها، وقرأته وكان مخطوطاً بخط اليد. وكانت هذه من البدايات الأولى التي فتح بها السيد الغريفي عهداً جديداً من العطاء الفكري بعد أن كان على تماس مباشر مع هموم مجتمعه.

ويدخل في هذا النوع من النتاج الفكري المتعدّد الذي تركه السيد الغريفي تلك الكتابات التي تتضمن عملية الترجمة عن الفارسية وأحياناً الأوردية. كما أن الكثير من هذه الكتابات بذل فيها السيد جهداً ميدانياً التزم فيه بالمعايشة الواقعية لمجتمع

بحثه، الأمر الذي جعل من بعض الكتابات أشبه بـ «ربورتاب» صحفي تتسم لغته بكثير من الحيوية والجزالة والأسلوب المشرق.

ولقد وضع السيد الغريفي العديد من المصنفات، أبرزها :

1. الشعائر الحسينية بين الوعي والخرافة (160 صفحة).
2. سيرة فقيه أهل البيت السيد الكلبيكاني (256 صفحة).
3. خليفة الإمام الراحل (480 صفحة).
4. الجهاد والسياسة في حياة الشيخ الكندي (112 صفحة).
5. العلامة السيد أحمد الغريفي من الولادة إلى...؟ (144 صفحة).
6. الآثار الدينية في المملكة الأردنية الهاشمية دليل مختصر (32 صفحة)
7. جعفر الطيار وشهداء مؤتة (32 صفحة).
8. لقد اختاره الحسين.. سيرة العلامة السيد ذیشان جوادى الرضوي الهندي (96 صفحة).
9. جارية الزهراء .. شهادة لا ترد.
10. مشهد الرؤوس.
11. الشيخ عيسى الطري والأهواز والثورة
12. بسنديدة السيرة وذكريات قرن من الثورة
13. الخرافة المعقولة .. إنها الهند يا زوجتي.
14. أنا الغريب.. ملامح الحياة في امبراطورية الدونكري العظمى
15. قضية العصر .. بيليوغرافيا مرجعية.
16. مرجعية الدفاع عن العقيدة.
17. مفردات وجدانية في عشق الذات الحسينية.

التراث البحراني له من العمق الزماني الذي يمثل سابقه على الكثير من أزمنة التراث الأخرى

ثانياً : الأعمال التحقيقية

يرى السيد محمود الغريفي أن التراث البحراني له من العمق الزماني الذي يمثل سابقه على الكثير من أزمنة التراث الأخرى، فالتراث البحراني :

○ تراث كمي، وذلك لأن البحرين عريقة في العلم ولا تخلو مدينة من مدنها أو قرية من قرأها أو بيت من بيوتها من واقع علمي ومخزون تراثي.

○ والتراث البحراني تراث كيفي، إذ ركز علماء البحرين على جوانب مغمورة أو حجم الإنتاج فيها قليل فأثروها بالكتابات والمصنفات، كما كانت لهم السابقة في جملة من الموضوعات.

○ إن التراث البحراني تراث ملتزم، فلم يكن في التراث البحراني أي إسفاف بل كل النتاج المعرفي البحراني هو في خط الالتزام العلمي والخلقي.

○ إن التراث البحراني تراث منتج وناقل للمعرفة، فكما أبدع علماء البحرين في تقديم المفاهيم الأصيلة من منابعها الأصلية (الثقلين)، فقد كان للتراث البحراني سهم كبير في نقل المعرفة من خلال التعاطي مع نتاج الآخر، عبر شرحه والتعليق والتعقيب عليه واستنساخ الثمين منه.

ومن منطلق الإحساس بالمسؤولية تجاه هذا التراث المنسي، ساهم السيد الغريفي وبشكل عملي في ترجمة هذا الهم إلى مشروع على الأرض. وعمل على تحقيق العديد من المصنفات العلمية لعلماء البحرين، وأصدرها تباعاً عن دار حفظ التراث البحراني، التي انطلق عملها في 11 نوفمبر 1997م (13 رجب 1418هـ)، وجاءت معظم



- إصدارات الدار التحقيقية من أعماله، بالإضافة إلى التعاون مع محققين آخرين منهم الشيخ حبيب آل جميع وأحمد المرهون والشيخ علي المبارك.
- ومن أبرز أعمال السيد محمود الغريفي التحقيقية :**
1. عقد الدرر في إدخال السرور على بنت سيد البشر، للشيخ ياسين بن أحمد الصواف، 128 صفحة.
 2. تعيين الفرقة الناجية رسالة منسوبة للشيخ إبراهيم القطيفي البحراني، 120 صفحة.
 3. طريقة الرياضة الشرعية للشيخ أحمد البحراني.
 4. العجائب والغرائب في أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية، للشيخ عبد الله السماهيجي.
 5. الغدير، للشهيد الشيخ عبد الله بن عرب.
 6. من نفحات الولاية (ديوان شعر) للسيد حسين السيد شبر.
 7. تعيين الثقل الأكبر للشيخ مكي بن صالح البحراني.
 8. مؤجج الاحزان أو إلتهاج نيران الأحزان في وفاة غريب خراسان، للشيخ عبدالرضا آل مكتل الأوالي.
 9. مقتل أمير المؤمنين للشيخ حرز المشهداني.
 10. رواية الغصب والهجوم على مولاتنا الزهراء.
 11. من خطب شيخ الإمامية في عصره، للشيخ أحمد بن المتوج البحراني.
 12. نظم حديث الكساء، للناطقة البحراني السيد عدنان بن السيد شبر البحراني.
 13. صفحات حول زيارة عاشوراء، بخط العالم السيد عبد الله بن السيد أحمد الغريفي.
 14. الصلاة والسلام على المعصومين، للسيد إبراهيم بن السيد محسن الغريفي.
 15. الاعتبار في كربلاء، للسيد حسين بن السيد شبر البحراني.
16. الذخيرة في يوم المحشر، للشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي.
 17. شرح صفات الرسول، (من أوراق) السيد علي بن السيد إبراهيم كمال الدين.
 18. مفتاح السرور في بقرة وسيع الثغور (المشهور في البحرين برواية البكرة) لأحد أعلام البحرين في القرن الرابع عشر.
 19. إجازة العلامة الشيخ علي البلادي للسيد مهدي الغريفي البحراني.
 20. نظم مقتل الحسين للشيخ حسن الدمستاني.
 21. السلافة البهية في الترجمة الميثمية، للشيخ سليمان الماحوزي.
 22. وفاة الإمام الحسن للشيخ عبدالرضا بن المكتل الأوالي.
 23. القادحة الذهبيا في مقتل يحيى بن زكريا، للشيخ حسين العصفور.
 24. وفاة النبي يحيى، للشيخ عبدالرضا بن المكتل الأوالي.
 25. حرقه الحزين في تسقيط سيدة نساء العالمين، (من أوراق) طه بن يوسف صالح بن يسوف بن محمد.
 26. نظم مقتل الزهراء للسيد حسين بن السيد الحسن الغريفي.
 27. ثاني المصائب والشهاب الثاقب على رؤوس المناصب (في وفاة الزهراء)، للشيخ محمد بن ناصر المعلم البحراني البربوري الاحسائي.
 28. مثير الزفرات ومجري العبرات في وفاة الزهراء، للشيخ محمد بن جعفر العكري البربوري.
 29. الدرة الغراء في وفاة السيدة الزهراء، للشيخ حسين ال عصفور.
 30. عقود الجمال في حياة الزهراء، للشيخ جعفر ابو المكارم.



دار حفظ التراث البحراني

سلسلة تراث البحرين العلمي [٥٦]

31. أنوار المناقب، للشيخ عبدعلي بن خلف ال عصفور.
 32. خطبة البيان، برواية علماء البحرين.
 33. شرح خطبة النبي لشهر رمضان للشيخ محمد علي ال عصفور.
 34. تنمة أورد الأبرار في شهادة الكرار للشيخ محمد بن الشيخ أحمد ال عصفور.
 35. الرسالة الرجبية في حكم النظر الى المرأة الاجنبية، رسالة المرجع الديني السيد عبدالله الشيرزاي 48 صفحة.
 36. وفاة فاطمة الزهراء للشيخ علي البلادي.
 37. إلزام النواصب للشيخ مفلح الصيمري.
 38. تنمة أمل الآمل لآل أبي شبانه.
 39. أورد الأبرار في مآثم الكرار، الشيخ حسن الدمستاني، 160 صفحة.
- كما وأن هناك مجموعة من الكتب جاهزة للنشر وأخرى قيد الإعداد والتحقيق.

ومنذ انطلاقتها، أصدرت دار حفظ التراث البحراني مجموعة من الأثار والكتب ضمن المسلسلات التالية: البيولوجرافيا والفهارس، التاريخ والتراجم، البحرين للناشئين، إسهامات علماء البحرين، سلسلة أعلام من البحرين، الأعمال المتفرقة، و أخيراً سلسلة من تراث البحرين.

وقد استهدف السيد محمود الغريفي من تأسيس هذه الدار:

- العمل على تصنيف كتب التراث والنتاج البحراني المعاصر وفهرستها ودراستها وتسهيل الانتفاع عليها والإستفادة منها.
- السعي في جمع المخطوطات والوثائق والصور والنتائج وحفظها، وكافة ما يتعلق بالتاريخ والتراث البحراني.
- العمل على إحياء التراث ونشره ضمن مسلسلات تراثية متخصصة في المجالات العلمية المتنوعة.

- إظهار أثر الحركة العلمية للبلاد في مجالات اختصاصها المتنوعة في آفاقها ومناهجها ودور رجالها الفعّال والمبدع في ردف مسيرة الأمة والمنطقة والبحرين والعطاء العلمي والأدبي الخلاق.
 - تسجيل تاريخ البحرين وتدوينه بمنهجية علمية تحليلية تعتمد الموضوعية والحياد وتوثيق المعلومات ودراسة المجتمع في وقائعه وأمّاطه الاجتماعية والثقافية والدينية.
 - كشف ونقد محاولات التزييف والتحريف والتشويه لتراث وتاريخ البحرين العلمي والثقافي والاجتماعي والسياسي.
 - التعاون والتواصل مع الشخصيات والمؤسسات العلمية والتراثية والمكتبات المتخصصة والعامة محلياً وعالمياً.
- يرى السيد الغريفي أن هناك جملة من المشاكل التي مُني بها التراث البحراني. تتمثل المشكلة الأولى في ضياع التراث البحراني، فكم تبعثرت المكتبات والكتب والمخطوطات وذلك بسبب العنف الذي تعرض له البحارنة منذ القدم وحتى اليوم، فتشتت الكتب والمكتبات بتشتت أصحابها. وإذ تقرأ في بعض الكتب، كمقدمة موسوعة الحدائق الناضرة لمفخرة البحرين الشيخ يوسف آل عصفور البحراني (قدس سره)، تجده قد أعاد كتابته عدة مرات بعد الحوادث التي وقعت عليه، أو جدنا السيد أحمد المقدس الغريفي المعروف بالحزمة والذي قتل في طريق زيارته إلى العتبات المقدسة في العراق، وسرق ما لديه من مؤلفات وكتب ولم يعرف أمرها إلى يومنا هذا. وغيرهما من الأعلام، بل ربما لا تجد عالماً من علماء البحارنة إلا وتعرض لمأساة.
- والمشكلة الثانية تكمن في جمود الأوساط العلمية عن إحياء التراث. فإذا كان صاحب الحق خاملاً فكيف يمكن لغيره، ومع خمولى البحارنة عن إحياء تراثهم، إلا أن هناك جهوداً كبيرة من غير البحارنة لإحياء التراث البحراني لعلمهم بقيمة ما لدى علماء البحرين. وفي الفترة الأخيرة، انبثرت جهود مبعثرة من البحارنة لإحياء التراث البحراني، ونسأل الله أن يديمها، مع أنها حركة رتيبة وينقصها العون والمدد لكي تواصل مجهودها الثمين فكلها جهود فردية.
- أما المشكلة الثالثة، بحسب الغريفي، فتمثل في عدم قيام مؤسسات ومراكز لحد اليوم تعنى برصد التراث البحراني وإحياءها. وما هو موجود اليوم في الساحة من جهود هي فردية للغاية وبمعنى الكلمة، وفي إطارها الخاص.
- أما المشكلة الرابعة، تتعلق بدخول جهات من خارج البحارنة، وقد يكونون من أصول بحرينية، زادوا في أزمة حفظ التراث وإحيائه بلّة. وذلك، لأنهم لا يعيشون خصوصية هذا التراث حتى يجعلوا له خاصيته بل وأكثر من ذلك إذ يعمل البعض منهم على القضاء على التراث البحراني سلفاً لأشباعه الذين رموا كما كبيراً من المخطوطات في الآبار أو البحر كما تحكي المصادر، ومن المؤسف أن بعض البحارنة قد حدى حدوهم.
- المشكلة الخامسة والأخيرة تنحصر في حاكمية الزمان والمكان منذ وقت قديم، بحيث جعل قسماً كبيراً من المخطوطات والآثار تغرق في بحر الظلم الذي شمل البحارنة ومخزوناتهم وأودى بالكثير منها.
- ويضع السيد الغريفي ما يمكن تسميته بـ «خطة إنقاذ» لهذا التراث المهم، من خلال : القيام بحملة

واسعة من التوعية على الأصعدة المختلفة بتاريخ التراث البحراني وقيمته وسبل الدفاع عنه وحفظه وإحيائه، وإيجاد موقع حر وقوي ماديا ومعنويا لجمع التراث البحراني فيه والعمل على إحيائه ونشره، ووقف ما يمكن من الأوقاف داخل البحرين وخارجه لكي تسند مشروع حفظ التراث البحراني وإحياءه، وتداول التراث البحراني من خلال تصويره وأرشفته في الأقراص وكذلك تداوله في الأوساط المختلفة في أنحاء العالم، وتشجيع من يلج هذا الميدان ومساندته وتخطي عثراته، فإن هذا الأمر عائد لكل الوطن. ونبّه سماحته إلى أن من يدخل هذا الميدان عليه أن يلتزم بأمانة التراث مهما كان مخالفا لمعتقده، فإن نشر أي مخطوطة أو حفظها لا يعني تبني ما فيها، وإنما يعني حب الوطن، وحب الوطن من الإيمان.

ثالثا: الكتابات الميسرة

حرص السيد محمود في بعض الكتابات إلى اعتماد منحى تبسيطي لبعض أطروحات رواد النهضة الاسلامية وكتابتها بلغة ميسرة تحاكي مستوى الناشئة. وكان من أبرز مؤلفاته، في هذا السياق، سلسلة «رؤى من وحي الولاية الحققة». وهي سلسلة حلقات تتناول رؤى وأفكار الإمام الخميني (قده)، صدر منها 25 حلقة في 800 صفحة. كما استهدفت بعض الإصدارات عرض كل ما يتعلق بالتاريخ البحراني وعلماء البحرين بأسلوب قصصي مصور، منها «كل يا كمي: قصة الشيخ كمال الدين ميثم البحراني؛ «أبو رمانه : قصة الشيخ عيسى الدمستاني»؛ كذلك كتاب «مؤذن الرسول (ص) والوفاء لمقام الولاية»، والذي يقع في 32 صفحة.

*باحث وإعلامي بحريني

المصادر:

- آل الغريفي تاريخ ورجالات/ علي عمار هاشم.
- مؤلفات السيد محمود الغريفي البحراني وأعماله التحقيقية.
- مجلة الساحل، العدد التاسع، السنة الثالثة - شتاء 2009م.
- مقال: نشر في موقع النعيم بعنوان «الحج نحو التراث البحراني» للسيد محمود الغريفي (8 أكتوبر 2007).

ديوان الذاكرة

مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت.. أرشيف تاريخي واقتناء لكل ثمين

حسن زراقط*

تُعدُّ مكتبة «الجامعة الأميركية» في بيروت أو AUB من أهم المراكز في لبنان التي تضم أرشيفا نوعيا وكميا قديم العهد. تعتني بما هو قديم من وثائق ومخطوطات وكتب وصور. إذ تولي المكتبة أهمية لتاريخ الجامعة الذي يضم عهد إرساليات تبشيرية كانت تأتي من الولايات المتحدة الأميركية إلى لبنان بدءاً من أواخر القرن الثامن عشر وعلى مدى القرن التاسع عشر، إلى جانب أرشيف مؤسسي الجامعة وأساتذتها وخريجيتها.

والمكتبة متخصصة في الرقمنة والفهرسة والحفظ، وبعض من مواد الأرشيف لديها متاح للباحثين للاستفادة منها. ولا تزال المكتبة تسعى إلى الحصول على مجموعات لباحثين ومؤلفين وتبادر إلى البحث عنها لإغناء الأرشيف لديها.

أرشيف المكتبة عمل تأسيسي لتوثيق دراسات الطلاب:

تقول مسؤولة قسم الأرشيف في المكتبة سمر ميقاتي قيسي: «بدأنا بالاهتمام بتاريخ الجامعة بتصنيف الوثائق التي تؤرخ للجامعة. وكانت تأتينا بعض المجموعات الخاصة التي لا تؤرخ لتاريخ الجامعة، لكنها مهمة في عملنا وللباحثين عندنا».

بعد مجيء الدكتور لقمان محو، تضيف قيسي «فُضِّل أن نفتح أكثر وأن نوثق أكثر وأن نجلب مجموعات تركز على تاريخ الجامعة الأميركية، وتوثق تاريخ الحركات الطلابية والرؤساء والمكاتب في الجامعة الإدارية التي نأخذ منها وثائق. نرصد تحركات الخريجين وأعمالهم والرجال المهمين الذين درسوا في الجامعة وتبوأوا مناصب مهمة. لدينا ملفات لأساتذة أو تلامذة نسيمهم AUBBUDDIES (وتعني الزملاء للجامعة) نوثق لهم أعمالهم أيضا. كما تأتينا مجموعات لأساتذة أو خريجين، كمثال مجموعة الدكتور قسطنطين زريق الذي كان خريج الجامعة وأستاذاً فيها (كان نائب مدير الجامعة) والذي تبرع بمجموعته للجامعة».

توثيق وأرشفة لموضوعات تاريخية

ووفقا للدكتور لقمان، فإن «هناك مجموعات معينة تأتينا ونعمل لها نوع من الفهرسة كمجموعات نشاطات الجامعة، مثل مجموعة «بلاك سر» (BLACK SIR) هي لزوجة ثاني رئيس للجامعة وكان لوالدها هواية بتجميع الصور في أواخر القرن التاسع عشر، في بداية ظهور التصوير. وتتضمن صورا عن لبنان وأوروبا وشمال أفريقيا، فهي قدمت المجموعة إلى الجامعة باسم والدها، وتضم نحو 800 صورة قمنا برقمّتها وجعلناها متاحة للباحثين. وأحيانا، يُطلَب منا من بلدان مثل تركيا وأمريكا صورا معينة من هذه المجموعة لأنها متاحة للباحثين».

مجموعة أخرى من الصور عن الجامعة ولبنان، تعدّها ميقاتي مهمة، «تمتلكها المكتبة حاليا، وكانت لأستاذ طب سابق في الجامعة في أوائل القرن العشرين. ترك المجموعة وسافر، كانت موجودة على رقائقي زجاجية في غرفة المستودع داخل شقة في إحدى المباني. أراد مالكو الشقة أن يقوموا بأعمال توسعة داخلها، فأرأوا زجاجات لم يعرفوا ما هي. أتى شخص لديه دراية أكثر بتلك الزجاجات، أخذها وعرضها على مدير مكتبة كلية الطب (في الجامعة الأمريكية) وكان يهوي التصوير فعرف أنها صور على رقائقي زجاجية، فقاموا بتنظيفها وتظهيرها وطبعوها في كتاب. وهي تعود إلى 140 عاما خلت، بعضها عن مرضى كانوا يأتون إلى الجامعة وهم يحملون سلافا». من الجميل، برأي ميقاتي، أن «الصدفة أحيانا تنقذ كنزا».

عن بدايات العمل في الأرشيف في المكتبة تحدثنا ميقاتي «كأن مؤسسي الجامعة كان لديهم حس أرشفة. لأن كل الرسائل التي كانت تخصّ زوجاتهم يصفون فيها ماذا كان يحدث معهم. وكل التقارير السنوية ومنشورات الطلاب

وتتابع قيسي قائلة : «لدينا مجموعات خاصة مثل مجموعة الحقائق ومجموعات للدول العربية والأوروبية وأمريكا التي تستعمل خلال التدريس أو يأتي تلامذة التخطيط المدني، والهندسة، والجيولوجيا، ليستعملوها، وتضم نحو ألفي خريطة. ولدينا مجموعة ملصقات سياسية وفنية وملصقات الجامعة الأميركية. وكان قد أقيم معرض في الجامعة في العام 2001، حيث قدّم الفنانون الذين عرضوا ملصقاتهم خلال المعرض للجامعة. مثل الفنان اللبناني أنطوان كرجاج أعطانا ملصقات مسرحياته والرسامون اللبنانيون وغيرهم من فنانيين أجانب سكنوا لفترة في لبنان».

أما فيما يخصّ الملصقات السياسية، فتقول قيسي إنها «جُمعت بعد أن كانت على جدران الجامعة، إذ كان هناك أمينة للمكتبة يجلب لها الطلاب ملصقات من على الجدران أو من الأحراب التي كانت موجودة آنذاك في لبنان، كما تجري المكتبة تبادلا مع أشخاص من خارج الجامعة إذا كان لدينا نسختان من ملصق معين».

وترد قيسي: «أما ملصقات الجامعة نفسها فيعود تاريخها إلى العام 1950، وهي تؤرخ النشاطات التي أقيمت في الجامعة مثل المحاضرات والمؤتمرات أو نشاطات التلامذة ورحلات وانتخابات، فتجمعهم أمينة المكتبة وتعمل لهم أرشفة وفهرسة وتدخلهم في فهرس المكتبة، ثم تُرقّمهم. ولدينا حاليا أكثر من 70 ألف صورة التي تؤرخ للجامعة منذ تأسيسها في العام 1866 حتى اليوم. وما زالت آلاف الصور تأتينا كل عام نعمل لها فهرسة ندخلها في «كاتالوغ» (CATALOGUE) أو أرشيف المكتبة».

محفوفة في أرشيف الجامعة، لكن التجميع المكثف للمواد بدأ بعد مرور 100 عام على تأسيس الجامعة، عندما أرادوا أن يحتفلوا بهذه المناسبة فأصبح هناك وعي في هذه المناسبة لأهمية الأرشيف».

وتضيف «فكان أن حفظ مؤسس الجامعة دانيال بلس كل أغراضه وأوراقه بين العامين 1866 و1902، وبين العام 1902 والعام 1920 حفظ ابنه أغراضه أيضا ولم يتلفوا شيئا منها، حتى عندما كانت هناك احتجاجات ضدهم كانوا يحفظون منشور الاحتجاج التي كتبه التلامذة. كل هذه التقارير السنوية كانت مكتوبة وطُبعت لاحقا بعد اطلاق الإدارة عليها في العام 1963».

وفي العام 1967، «بدأ كثير من الناس يرسلون إلى الجامعة أغراضا بمناسبة مرور 100 عام على التأسيس. كذلك أرسلت زوجة الرئيس الرابع للجامعة أغراضه إلينا بعد وفاته. ومنشورات الطلاب ومجلاتهم المكتوبة بخط اليد التي كتبت بدءا من العام 1866 وحتى ثلاثينات القرن الماضي موجودة ومحفوظة. وعملنا رَقْمَنَة لجزء منها ويجب أن نُرَقِّمِن الجزء الباقي ليتم استخدامها وكي لا يصيبها التلف. والأشياء التي تفيد الباحثين ومطلوبة لهم ويسهل استرجاعها نجعلها أولوية في الرقمنة، مثل التقارير السنوية للجامعة».

إحدى مشاريع الرَقْمَنَة التي قامت بها المكتبة في الفترة الأخيرة هي مجلة اسمها «الكلية» من إصدار الخريجين السابقين. وتخبرنا ميقاتي أنه «عندما توقفوا عن إصدارها تولاهم الطلاب واسمها «دورية الكلية»، وهي صدرت بين العامين 1910 و2012. وإضافة إلى ذلك، نعمل رَقْمَنَة لمجلة «أوت لوك» (OUTLOOK أو آفاق) أنشأها الطلاب في

إحدى مشاريع الرَقْمَنَة التي قامت بها المكتبة في الفترة الأخيرة هي مجلة اسمها «الكلية» من إصدار الخريجين السابقين.



العام 1946 وتوقف إصدارها أثناء الحرب الأهلية اللبنانية ثم أعادوا إصدارها في العام 1967. فهدفنا تسهيل عمل الباحث، نحن نحب أن يزورنا، وذلك سيسهل عليه».

لدى الجامعة 1400 مخطوطة أغلبها باللغة العربية، تمّت فهرستها، إذ يستطيع أي باحث الحصول على نسخة رقمية منها بعد أن تمّ تحويلها من «ميكروفيلم» (MICROFILM أو فيلم مصغر). وبحسب ميقاتي، فإن يوسف خوري «كان أميناً لمكتبة الجامعة في ثمانينات القرن الماضي قام بفهرسة المخطوطات العربية، ورقمناها ووضعت على موقع الجامعة على الإنترنت».

كيف يتمّ التعامل مع المواد توثيقاً وأرشيفاً؟

يتمّ التعامل مع المواد الورقية بوضعها في علب خالية من «الأسيد» وفي ملفات خالية من «الأسيد». وفي الوقت الحاضر لم تُرَقِّمِ الرسائل الإلكترونية والقرارات التي نطبعها، إنما نحفظها في الملفات إلى حين رقمتها. وينبغي للطلاب ممن حصل على شهادتي الماجستير والدكتوراه أن يُودِعَ نسخَتَيْ منها في المكتبة، واحدة ورقية وثانية رقمية ونحن نعمل على فهرستها وندخلها في فهرس الجامعة. وإذا سمح لنا أحد الطلاب بوضع نسخة رقمية لشهادته على موقع الجامعة على الإنترنت فنضعها له هناك. ولكن قسم من الطلاب لا يسمح بذلك، لأنه ما زال يجري بحثاً في الموضوع نفسه في مرحلة الدكتوراه، فنترك له رسالة الماجستير غير متاحة للباحثين إلا إذا أراد شخصٌ أن يقرأها من دون أن ينسخ أو يصور شيئاً منها، تطبيقاً لحقوق الملكية الفكرية».

وإذا أراد أحد أن يعرف ماذا لدى دانيال بلس في مجموعته، فذلك متوافر، إذ تشير ميقاتي إلى أن «لوائح مخصصة لذلك

في فهرس المكتبة، فيكتب الباحث DANIEL BLISS في خانة البحث على الموقع على الإنترنت فيحصل على كل اللوائح التي تدل على مؤسس الجامعة. ويمكن استخدام خيار بحث آخر اسمه «فايندينغ أيد» (FINDING AID) أو مساعد البحث) لمعرفة التفاصيل عن مجموعة بلس من «بيبلوغرافيا» أو الرسائل (CORRESPONDENCE) الشخصية والمهنية الخاصة به. فهي مقسّمة وكل المعلومات حولها منشورة في قطعة نصية تعريفية عنه، إلى جانبها قطعة للتعريف بكيفية حصولنا على المجموعة».

وتوضح أن «الباحث الذي يريد معلومات عن الإرساليات التبشيرية ولا يعرف شيئاً عن تاريخ الجامعة، يلجأ إلى «مساعد البحث» ليدله على الإرساليات التي استمرت حتى عهد ثالث رئيس للجامعة حينما تحوّلت إلى علمانية، ويطلب الباحث «فايل» (FILE أو ملف) معيّن من «بوكس» (BOX أو صندوق)، كما أن في كل ملف توجد مواد معينة».

وتلفت قيسي إلى أن هناك بعض المواد «موثقة بشكل كبير ومواد موثقة بشكل خفيف»، «فليس كل الأرشيف هكذا، هناك بعض الأقسام ما زال العمل جارٍ عليها بفرزها وترتيبها ولكن المواد الأساسية موجودة في فهرس المكتبة».

ونتطرق بالسؤال إلى الأقسام في مكتبة الجامعة، إذ تشرح قيسي، «فتاتان تعملان على الفهرسة، واحدة تعمل على فهرسة الملصقات وأخرى على الصور. والآن تفهرس كتباً، فلدينا مجموعة كتب يعود تاريخ كتابتها إلى القرن السادس عشر ولدينا أيضاً أوائل المطبوعات العربية لدار قزحيا في لبنان وأرشيف المطبعة الأميركية». والجديد لدى المكتبة هو معارض افتراضية على الإنترنت، توضح قيسي،



«في العام 2014 عملنا معرضاً حقيقياً (في الجامعة) عن الحرب العالمية الأولى، وفي موازاة المعرض الحقيقي عملنا معرضاً افتراضياً يظهر الحياة في الجامعة خلال تلك الحرب، حينما أبقى دور المدرسة الطبية استمرارية الجامعة خلال الحرب».

تنظم الجامعة معرضاً في العام 2016 بمناسبة مرور 150 عاماً على تأسيس الجامعة بعنوان «الجامعة الأميركية خلال الحروب». ولإغناء هذا المعرض، تؤكد قيسي أن الجامعة اشترت مجموعة صور المصور الرسمي لوزارة السياحة مانوغ آلمايان، «زوجته باعتنا الـ«نيغاتيف» (صور سالبة مصغرة) لـ20 ألف صورة عن لبنان ومنطقة الشرق الأوسط وبعضها عن كندا، تؤرّخ من أربعينات إلى أوائل تسعينات القرن الماضي، وهي مجموعة مهمة سنعمل لها «سكان» (SCAN) أو مسح رقمي).

وفي العام الماضي اشترينا مجموعة الدكتور محمد نجم، كان استاذاً للغة العربية في الجامعة العربية وكان يؤرّخ للمسرح العربي. واشترينا مجموعة للباحث باسيل عجولا تحوي مخطوطات سريانية ومسيحية وكتبا نادرة جمعها من الشرق كله، واشترينا، أيضاً، مجموعة السينما العربية من ملصقات وصور ومجلات فنية قديمة يعود تاريخها إلى أربعينات وخمسينات القرن الماضي. ولدينا عشرون «ألبوما» (ALBUM) أو مجموعة مختارات من صور أو موسيقى) للمسرح المصري ومسارح دول عربية أخرى. ولدينا «برس بوكس» (PRESSBOX) أو نشرات تعريفية بصيغة صحافية) تحكي عن مضمون الفيلم».

ونعرج على «قسم الرقمنة»، فتشير قيسي إلى أن «للرقمنة قسم في المكتبة هنا وقسم آخر في دائرة أخرى في الجامعة مختصة بالرقمنة. وهي نفسها التي تقوم برقمنة مجلة «الكلية» بعد أن نحضرها لهم. ويوجد قسم تابع لهذه الدائرة اسمه «كونزرفايشن برزرفايشن» (CONSERVATION PRESERVATION) أو قسم للحفظ) الذي يساعدنا على الحفاظ على الكتب لأن مجموعتنا قديمة جدا ويجب أن نهتم بها من جديد وأن نُغلف وتُرمم».

وترد قيسي: «أحيانا، هناك كتب جديدة قد ينفصل غلافها عنها، فنحافظ عليها بأن نلصقها ونكبسها كي تبقى مع

الكتاب لأن المؤلف يريد أن يوصل من خلال الغلاف أمرا ما إلى القارئ. وهناك مجموعات صور ليست موضبة داخل «مغلف» (عادي) وتحتاج عناية خاصة فنضعها داخل مغلفات خاصة «إنكلوجرز» (ENCLOSURE أو مرفقات) من ورق خالية من «الأسيد» ورباط من قطن. ونستعمل لها أيضا «بايير كلبس» (PAPER CLIPS أو مشبكات للورق) من نوع «ستاينلس ستيل» (STAINLESS STEEL أو حديد غير قابل للصدأ).

وحول البرنامج الذي تستعمله المكتبة، تذكر قيسي إن اسمه «ميلينيوم» (MILLENIUM) يلبي الحاجة ودرسناه قبل أن نشتره». وفيما يتعلق بالصعوبات التي يواجهها القسم، تقول «دائما هناك مشاكل ودائما عليك أن تحلها بقدر الممكن. مثلا، اشترينا مجموعة لعيسى اسكندر معلوف، المؤرخ والباحث. ذهبنا إلى منزله حيث توجد المجموعة، فكانت داخل غرفة مغلقة لم تدخل إليها عائلة معلوف أبدا. وضعنا أفنعة واقية على وجوهنا وارتدينا كفوفا لليد، وكانت نوافذ الغرفة مغلقة يملؤها الغبار، وكنا بين الفينة والأخرى نخرج من الغرفة بعد إصابتنا بالدوار بسبب الغبار الموجود في الغرفة. وضّبنا المجموعة في صناديق ولم نتمكن من أن ننظف أي جزء منها في الغرفة».

المكتبة الأميركية متعاونة وجودتها الأولى في لبنان

وعن أكثر المواد التي يطلبها الباحثون من المكتبة، تخبرنا قيسي: «كثيرا ما يطلبون مخطوطات عن الفقه والهندسة والطب، لأن مجموعتنا مهمة، حتى أن هناك مخطوطات للمؤسسين في الجامعة الذين تعلموا اللغة العربية وصاروا يؤلفون بالعربية أيضا بسبب عدم وجود كتب كافية لتعليم التلامذة آنذاك». ففي العام 2014، «ألقينا محاضرة في ألمانيا، قلنا فيها إن الأساتذة كانوا يدخلون المخطوطات العربية في منهج الدراسة لتلامذتهم في القرن التاسع عشر. فلم يكن الأساتذة يشترون المخطوطات فقط للباحثين بل أضحت جزءا من المناهج الدراسية».

وعما إذا كانت المكتبة تتعاون وتتبادل مع مراكز دراسات وأرشفة أخرى، تذكر ميقاتي أن المكتبة «تقوم دائما بالتبادل والتعاون، فتأتينا طلبات على الصور والأبحاث الخاصة بالتلامذة وعلى المخطوطات أيضا وعن أشخاص درّسوا في الجامعة وعن أدوراهم ومؤلفاتهم، وكذلك عن التلامذة وإلى أين انتهى مستقبلهم وسيرتهم الذاتية. كما نوّقع اتفاقيات مع مؤسسات مثل «المعهد الألماني للدراسات الشرقية»

بعد العودة مع الصناديق إلى المكتبة، تقول قيسي، «تساءلنا كيف سنخرج المجموعة من الصناديق ونفحصها من دون أن نعرض حياتنا للخطر. فدخلنا إلى غرفة في المكتبة للتلامذة وأغلقتها على أنفسنا وأدخلنا المجموعة وصرنا نفض الغبار عنها ونصنفها حسب نوعها، لأن المجموعة كانت غير مصنّفة أو مرتبة وعبارة عن مخطوطات وأوراق شخصية وصور ومجلات، ولأنه لم يكن لدينا وقت كي نصنّفها. حاولنا التصنيف ولكننا في النهاية وضعناها كل

(مقره في محلّة زقاق البلاط في العاصمة بيروت)، ولدينا اتفاقية مع «الجامعة اليسوعية» في بيروت، ونتعاون أيضا مع «جامعة الكسليك». ونرسل الموظفين في المكتبة إلى مراكز مثل «المكتبة الوطنية» لتدريبهم ونستقبل متدربين أيضا في مكتبة الجامعة، كما استقدمنا مدربة لتدريبنا متخصصة في الأرشفة من فرنسا».

وترفض قيسي أن تقارن جودة أرشيف مكتبة الجامعة الأميركية ونوعيتها مع الأرشيف في مكتبات ومراكز أخرى، تكتفي بالقول «هو أرشيف منظم من أهم الأرشيفات الموجودة في لبنان. عندما يأتي إلينا باحثون يقولون لنا: نبحث في لبنان فنجد أن أكثر أرشيف منظم يقدر أن يساعدنا هو الأرشيف عندكم. ولكن لا نعرف ما إذا كان ذلك مجاملة أو قولا صحيحا».

* إعلامي لبناني

نرسل الموظفين في المكتبة إلى مراكز مثل «المكتبة الوطنية» لتدريبهم ونستقبل متدربين أيضا في مكتبة الجامعة، كما استقدمنا مدربة لتدريبنا متخصصة في الأرشفة من فرنسا».







ثقافة أكاديمية

ثقافة أرشيفية

السجلات الوطنية في بريطانيا.. مفتوحة أمام العامة قسم الترجمة*

يعدّ حفظ السجلات والمصادر الأصلية ضرورة للتاريخ الوطني. فالأرشيف الذي يهدف إلى مساعدة الباحثين وإتاحة حق عموم الناس في الحصول على المعلومات، بات يحظى بتأييد واسع. وأحد هذه السجلات هي السجلات الوطنية في لندن، فوفقاً لموقعهم الإلكتروني، تحتوي السجلات الوطنية على الملايين من الوثائق التاريخية الرسمية أو السجلات التي هي إما على شكل أوراق، أو ملفات رقمية... الخ (What we do, 2015).

لم تكن منظمة منفردة هي التي تحفظ السجلات المهمة في السابق. إنما كانت تلك المهمة مقسّمة على أربعة مكاتب : هي مكتب قرطاسية جلالة الملكة الذي تأسس في العام 1786، ومكتب معلومات القطاع العام الذي تأسس في العام 1786، ومكتب السجلات العامة الذي تأسس في العام 1838، والهيئة الملكية للمخطوطات التاريخية التي تأسست في العام 1869. لقد كانت هذه المنظمات الأربعة تعمل بشكل منفصل، وكل منها يحفظ نوعاً محدداً من السجلات الوطنية. وفي العام 2003، تمّ ضم المنظمات الأربعة في هيئة واحدة تعرف اليوم بالسجلات الوطنية في بريطانيا (Legislation.gov.uk, 2015).

إن «مكتب قرطاسية جلالة الملكة» هو نوع غير مألوف من الشركات، فمع أنه تابع للحكومة، وهي التي تقوم بتشغيله، إلا أن طبيعته تجارية. أصبحت هذه الشركة مستقلة مؤخرًا، ولكنها تأسست منذ أكثر من مئتي عام. وكانت على مدى هذه الفترة تمنح أنواع الدعم المستندي كافةً إلى الحكومة البريطانية، بما في ذلك جوازات السفر، والكتيبات، والسجلات البرلمانية، والحواشيب، والمعدات المكتبية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الشركة تمّ تأسيسها بدايةً بهدف الإصلاح.

ويعدّ مكتب معلومات القطاع العام الهيئة المسؤولة عن تشغيل مكتب قرطاسية جلالة الملكة. فلقد تم إنشاء مكتب

السجلات العامة لتنظيم حفظ السجلات الحكومية وسجلات المحكمة، التي كانت تحفظ في أوضاع سيئة، وفي عدد من الأماكن. وكان من غير المسموح الرجوع إلى السجلات المحفوظة في مكتب السجلات العامة بحرية حتى العام 1852 مع أن قانون مكتب السجلات العام للعام 1838 سمح لعموم الناس بالإطلاع عليها. ولم يعد اسم «مكتب السجلات العامة» مستخدمًا للإشارة إلى مكتب السجلات العامة حاليًا، ذلك أنه قد تمّ ضمّه مع المكاتب الأخرى ليصبح الأرشيف الوطني.

تسعى الهيئة الملكية للمخطوطات التاريخية إلى دراسة سجلات الأرشيف الخاصة التي تمتلك طابعًا تاريخيًا عامًا. وعملها باختصار هو التحقق من الأماكن التي يوجد فيها مخطوطات تاريخية، وكتابة تقارير حول محتوياتها.

وبحسب ما يتمّ التسويق له، فإن السجلات المادية يتمّ حفظها في بيئة مناسبة، وذلك لمنع تلفها بشكل سريع (Sustainable Environmental Management, 2015).

ووفقًا لصفحة موقع Gov.uk، تعمل السجلات الوطنية في لندن اليوم بصفقتها قسمًا غير وزارى، إنما هي سجلات حكومية رسمية لإنجلترا، وويلز، والمملكة المتحدة، بالإضافة إلى كونها وكالة تنفيذية لقسم الثقافة والإعلام والرياضة (Legislation.gov.uk, 2015). ومع أن هذه السجلات تضمّ أكبر عدد من الوثائق في المملكة المتحدة، إلا أنه لا يتمّ حفظ نوع محدد من السجلات كشهادات الميلاد... (What we Don't have).

أما السجلات التي تمتلكها السجلات الوطنية، التي لم تكشف بموجب قانون حرية المعلومات، يجب أن تكون صادرة منذ عشرين أو ثلاثين عامًا حتى يسمح بالكشف عنها لعموم الناس. ومثال على ذلك، ملفات وزارة الخارجية والكومنولث التي تعود إلى العام 1983، إذ تمّ الكشف عنها في تموز/ يوليو 2015 (Foreign and Commonwealth, 2015). وفي هذا الصدد، يقوم مجلس الشورى بتقديم المشورة لصناع القرار بشأن السجلات العامة التي يمكن الكشف عنها، وتلك التي لا يمكن الكشف عنها، ويتمّ ذلك استنادًا على أمور عدة مع أخذ المصلحة العامة بعين الاعتبار (The National Archive, 2015).

إن الشفافية والتنمية للسجلات الضخمة على غرار السجلات الوطنية في بريطانيا هو أمر يهدف إلى حفظ التاريخ البريطاني. وتمتلك في السجلات أهمية دولية للأجيال القادمة إذ إنها تحتوي على الكثير من الوثائق المرتبطة بالسياسات الخارجية. يمكن للكثير من الباحثين الاستفادة من هذه السجلات الوطنية التي يجب أن تصبح مدخلًا للوصول إلى ملايين الوثائق الرسمية. كما أن لهذه الوثائق أهمية تعليمية يمكن الاستفادة منها في ورش العمل والندوات... الخ.

* فريق ترجمة الوثائق البريطانية
بمركز أوال للدراسات والتوثيق

مع وصول الثورة المعلوماتية إلى مراحل متقدمة والتي باتت معتمدة على مستوى عالمي واسع، لم يعد بالإمكان التوقف عند معاملات التاريخ السابق واعتماد تقنيات بدائية، لم تعد تفي بأغراض العصر الحالي لا سيما لناحية العمل داخل المؤسسات الكبرى.

التوقيع الرقمي.. نموذج للتحول من الورق إلى الإلكترونيات آلاء هاشم*

مع وصول الثورة المعلوماتية إلى مراحل متقدمة والتي باتت معتمدة على مستوى عالمي واسع، لم يعد بالإمكان التوقف عند معاملات التاريخ السابق واعتماد تقنيات بدائية، لم تعد تفي بأغراض العصر الحالي لا سيما لناحية العمل داخل المؤسسات الكبرى.

هذه الثورة أدخلت تغييرات في مصطلحات عدة، منها مفهوم الوثيقة الذي يعدّ مفهوماً واسعاً وشاملاً للعديد من المعاني. فهو يعني بالدرجة الأولى وعاء يتضمن معلومات أنتجها أو حصل عليها أي شخص طبيعي خلال القيام بنشاطه. وتتنوع الوثائق وفق الوعاء الذي يحتويها، فهناك الوثائق الورقية ذات الوعاء المادي الورقي الملموس التي بدأت تختفي لمصلحة الوثيقة الإلكترونية المتضمنة لمعلومات تُنشأ أو تُدمج أو تُخزّن أو تُرسل أو تُستقبل، كلياً أو جزئياً، بوسيلة الكترونية، وتكون قابلة للاسترجاع بصورة يمكن ادراكها، ومنها التوقيع الإلكتروني في الوظيفة كصيغة بديلة عن التوقيع على الورق.

وقد أدت ثورة التكنولوجيا والمعلومات واستخدام وسائل الإتصال الحديثة والإنترنت بشكل واسع الى ظهور ما



يسمى بالتوقيع الإلكتروني بديلاً عن التوقيع الخطي، والذي يتوافق مع طبيعة التصرفات القانونية للوثائق الإلكترونية.

ما هو التوقيع الإلكتروني؟

تعدّ التوقيعات الرقمية إحدى أهم التطبيقات الحديثة للتعمية، ومن أهم تقنيات تحقيق الأمان في المعاملات الإلكترونية الرقمية التي تتزايد أهميتها باستمرار في عصر الحوسبة والمعلوماتية.

ولقد جاء التوقيع الرقمي ثمرة من ثمار التطور الهائل في العمل على تقنيات التعمية (Cryptography)، إذ يوفر مجموعة من القدرات الأمنية يصعب تنفيذها بأي طريقة أخرى^[1]. وهو ليس صورة رقمية لتوقيع يدك ترسلها مذيلة برسالتك عبر البريد الإلكتروني، بل إن التوقيع الرقمي يزودنا برهان لهوية المرسل، وبرهان على سلامة البيانات المرسلة.

ويحتوي التوقيع الرقمي على قيمة تدعى قيمة هاش (Hash Value) أو نتيجة هاش (Hash result). يتم احتسابها عن طريق وظيفة هاش، وهي خوارزمية تحوّل البيانات إلى قيمة فريدة (بصمة) تمثل هذه البيانات. أما في حال إجراء أي تعديل على تلك البيانات - مهما كان صغيراً - ستتغير هذه القيمة، مما يحتم إمكانية اكتشاف أي تغييرات تطرأ على البيانات (في حال محاولة تزوير الرسالة من قبل متطفلين)^[2].

التوقيع الرقمي.. التعبير عن القبول الكترونياً

يمكن القول إن التوقيع بشكل عام، وبحسب محمد أمين الرومي، هو التأشير أو وضع علامة على السند أو بصمة ابهام للتعبير عن القبول بما ورد فيه. أو أنه آية علامة

مميزة خاصة بالشخص الموقع تسمح بتحديد شخصيته والتعرف عليها بسهولة^[3].

ونرى أن السند الورقي، لكي يكتسب خاصية الإثبات، لا بد أن يحتوي على توقيع سواء تمثّل في امضاء أو ختم أو بصمة الاصبع، ويشترط الفقه في التوقيع أن يكون مميزاً لهوية الموقع.

أما فيما يخصّ التوقيع الإلكتروني، فقد عرّفه القانون المدني الفرنسي بأنه التوقيع الضروري لإتمام التصرف القانوني الذي يميز هوية من وقعه، ويعبر عن رضائه بالالتزامات التي تنشأ عن هذا التصرف. وعندما يكون الكترونياً فيجب أن يتمّ باستخدام وسيلة آمنة لتحديد هوية الموقع وضمان صلته بالتصرف الذي وقّع عليه^[4]. ولقد عرّفه Rivest بأنه «الاتصال بوجود الأخصام».

تعريف التوقيع الإلكتروني دولياً

وحاولت مجموعة من المنظمات الدولية تقديم تعريف للتوقيع الإلكتروني، سواء من خلال قوانين مرتبطة بالتجارة الإلكترونية، أو من خلال قوانين خاصة بالتوقيع الإلكتروني. ويعدّ الاتحاد الأوروبي ومنظمة الأمم المتحدة للتجارة الدولية المعروفة بالأونسيترال، أهم منطمتين قدمتا تعريفاً للتوقيع الإلكتروني، لكون معظم المنظمات التي حاولت تعريفه قد تأثرت بتعريف الأونسيترال^[5].

1. منظمة الأمم المتحدة للتجارة الدولية «الأونسيترال» وضعت منظمة الأونسيترال اللبنة الأساسية لتعريف التوقيع الإلكتروني. إذ عرّفته بكونه: «بيانات في شكل إلكتروني مدرجة في رسالة بيانات أو مضافة إليها أو مرتبطة بها منطقياً. ويجوز أن تستخدم بتعيين هوية الموقع بالنسبة إلى رسالة البيانات وبيان موافقة الموقع



على المعلومات الواردة في رسالة البيانات». ويظهر إذا من خلال هذا التعريف أن منظمة الأمم المتحدة للتجارة الدولية لم تقم بتحديد الطريقة التي يتم اعتمادها في التوقيع الإلكتروني، تاركة بذلك حرية اختيار الطريقة للفرد أو الدولة.

2. منظمة الاتحاد الأوروبي

مثل غيرها من المنظمات، قدمت منظمة الاتحاد الأوروبي تعريفاً للتوقيع الإلكتروني، إلا أنها عرّفت نوعين من التوقيع، وضعت لكل منها تعريفاً محدداً وهما:

○ التوقيع الإلكتروني: «معلومات على شكل إلكتروني متعلقة بمعلومات إلكترونية أخرى ومرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً، ويستخدم أداة للتوثيق».

○ التوقيع الإلكتروني المعزّز هو: «عبارة عن توقيع إلكتروني ويشترط فيه أن يكون مرتبطاً ارتباطاً فريداً مع صاحب التوقيع، وقادراً على تحديد صاحب التوقيع والتعرف عليه باستخدامه».

متطلبات التوقيع الرقمي^[6]: إذ يجب أن يحقق التوقيع الرقمي المتطلبات الآتية:

- يجب أن يكون التوقيع الرقمي عبارة عن سلسلة بتات لأصل الرسالة.
- يجب أن يستخدم التوقيع الرقمي بعض المعلومات الفريدة عن المرسل لمنع التزوير والإنكار.
- يجب أن يكون إنشاء التوقيع سهلاً نسبياً.
- يجب أن يكون التحقق من التوقيع سهلاً نسبياً.
- يجب أن يكون تزوير التوقيع غير قابل للتطبيق حسابياً.

ومن خصائص التوقيع الإلكتروني:

1. يتكون التوقيع الإلكتروني من عناصر متفردة وسمات خاصة بالموقع تتخذ شكل أرقام أو حروف أو إشارات أو رموز أو غيرها.

2. أنه يحدد شخصية الموقع ويميزه عن غيره.
3. يعبر عن رضى الموقع.
4. التوقيع الإلكتروني يتصل برسالة الكترونية، هي عبارة عن معلومات يتم إنشاؤها أو إرسالها أو تسليمها أو تخزينها بوسيلة إلكترونية.
5. التوقيع الإلكتروني يحقق أغراض ووظائف التوقيع التقليدي متى كان صحيحا، وأمكن إثبات نسبه الى موقعه.
6. يحقّ الأمان والخصوصية والسرية في نسبه للموقع. ويعدّ التشفير إحدى أهم تقنيات التوقيع الرقمي.
7. الجوانب السلبية

ومع أهمية التوقيع الإلكتروني إلا أن هناك بعض الجوانب السلبية التي تعترضه، ومن أهم عيوب التوقيع الإلكتروني:

1. إساءة استعمال التوقيع الإلكتروني: التوقيع الإلكتروني معرّض للتزوير خاصة من الأشخاص الذين يتوافر لديهم معرفة جيدة ببرامج الحاسب الآلي واستخداماته. إذ قد يستطيعون الدخول إلى منظومات التوقيع الإلكتروني باستخدام برامج خاصة والاحتيال على تلك النظم وفك شيفرات التوقيع الإلكتروني، ومن ثم استخدامها في أغراض احتيالية عن طريق نسخها أو تزويرها.
2. ارتفاع تكلفة التوقيع الإلكتروني: بعض صور التوقيع الإلكتروني، وخصوصا التوقيع البيوميتري وتطبيقاته، عالية التكلفة مما يشكّل عقبة أمام انتشار استخدام التوقيع الإلكتروني، نظرا لاستخدامها تقنيات حديثة مكلفة لا يستطيع الشخص العادي، وحتى بعض المؤسسات، تحملها مما يحدّ من انتشار استخدام التوقيع الإلكتروني.

*اختصاصية أرشيفو

المراجع:

1. توماس، طوم. مركز التعريب والبرمجة. الخطوة الأولى نحو أمان الشبكات، الطبعة الأولى - الدار العربية للعلوم، لبنان - بيروت، 2004، 224-225.
2. رها القوتلي، التوقيع الرقمي، /www.kantakji.com/media/1747/a20.doc
3. فقرة (4)، م(13١6)، القانون الفرنسي رقم (399) والمعدل في عام 2006 بقانون التوقيع الإلكتروني الفرنسي رقم(230) لعام 2000.
4. فيصل سعيد الغريب، «التوقيع الإلكتروني وحجيته في الإثبات»، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، بحوث ودراسات 2005.
5. محمد أمين الرومي المستند الإلكتروني، دار الكتب القانونية، القاهرة 2008، ص 4.
6. محمد محروك، خصوصيات التوقيع الإلكتروني وحجيته في الإثبات، جامعة القاضي عياض، مراكش - المغرب.
7. مجموعة باحثين، (تاج الدين جركس، عدنان معترماوي، غسان ناصر)، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (29) العدد (1) 2007
8. نور الدين الناصري، «المعاملات والإثبات في مجال الاتصالات الحديثة»، سلسلة الدراسات القانونية المعاصرة، العدد 12، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى 2007-1428.

تشريعات الأرشيف العربي بين الفراغ القانوني والتأثير السياسي

باقر درويش*

ارتبط تطور التشريعات القانونية الخاصة بمجال الأرشيف بتطور العلم ذاته؛ خصوصا بعد نظرية الأطوار الثلاثة للعالم الأمريكي تيودور شلنبرغ التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية. وهي من النظريات الأساسية المعتمدة في المرحلة الحديثة لإدارة الأرشيف، وهو الأمر الذي أدى إلى حدوث تحول في سن بعض القوانين. إلا أنّ اهتمام المشرع القانوني بالأرشيف كان قديما، ومن بين الأمثلة الشاهدة على ذلك هو المرسوم السابع «ميشيدور» الصادر في سنة 1794 بفرنسا، فمن المعروف أن لباريس تأثيرات على بعض دساتير الدول العربية التي كانت تحتلها.

ويجب أن لا نغفل هنا أن للتقاليد والخبرات القانونية والثقافة الإدارية والواقع الاجتماعي والسياسي دور في التأثير على طبيعة تشريعات الأرشيف التي سنتها الدول. ففي المجتمعات الديمقراطية نلاحظ كيف أنّ الأرشيف له علاقة بأغراض؛ منها حسن تسيير شؤون الدولة، والبحث العلمي والفكري والذاكرة الجماعية؛ لذلك يتم تشكيل السلطة الأرشيفية الوطنية وفق نظام اداري بناء على عدة نظريات ومبادئ، كما هو الحال في الولايات المتحدة الأمريكية حيث يتم الفصل بين إدارة الأرشيف الجاري والوسيط، وإدارة الأرشيف النهائي على سبيل المثال. بينما تجد في بعض المجتمعات غير الديمقراطية مثلا من يعدّ الوثائق أرشيفا عند انتهاء الحاجة لها، وهو الأمر الذي يتسبب بجعل إدارة شؤون الأرشيف في أسفل النظام السياسي للدولة وضمن أدنى الأولويات.

ومع أنّ الوعي الدستوري لعلم الأرشيف تزامن مع ولادة الدساتير الجديدة لبعض الدول العربية إلا أنّ المتابع يجد عدم صياغة قوانين متماسكة نتيجة للأزمات السياسية التي تشهدها تلك الدول. وعلى سبيل المثال؛ يلاحظ المتابع لواقع تشريعات الأرشيف الجزائري أنه لم تكن هنالك مراسيم تنفيذية، وأنّ المراسيم التي صدرت تناولت تشكيل هيئات أرشيفية مع تحديد اختصاصاتها، أو إنشاء المراكز الأرشيفية الوطنية المركزية أو الملحقة، أو المجلس الاستشاري، وكلها مراسيم لم تنطرق إلى تقنين الوظائف الأرشيفية. وهو الأمر الذي أضر سلبا على الأرشيف الجاري والانتقالي والنهائي نتيجة للفراغ القانوني.

دخلت الهيئة مع الرئاسة التونسية في خلاف حول استخدام الأرشيف للانتصاف للضحايا؛ ولعلها من التجارب العربية النادرة في الانتقال الديمقراطي التي تؤدي فيها تشريعات الأرشيف دورا في التأثير على العملية السياسية.

أما في منظومة دول مجلس التعاون الخليجي، فبعد 33 سنة من صدور دستور 73 بالبحرين صدر القانون رقم 22 لسنة 2006 بشأن حماية حقوق المؤلف والحقوق المجاورة وتعديلاته، تلاه القانون رقم 16 لسنة 2014 بشأن حماية معلومات ووثائق الدولة. وبعد ذلك، الأمر الملكي رقم 18 لسنة 2008 بإنشاء «مركز عيسى الثقافي» المعدّل بالأمر الملكي رقم 32 لسنة 2008؛ ليأتي أمر إنشاء الأرشيف الوطني متأخرا في 2015 أي بعد 42 سنة من صدور دستور 73 و13 سنة من صدور دستور المنحة في سنة 2002، وبعد الدور السلبي الذي أدته وزارة الثقافة (هيئة الثقافة والآثار لاحقا).

ووفقا للأمر الملكي رقم 31 لسنة 2015 القاضي بإنشاء وتنظيم الأرشيف الوطني، فقد أشارت المادة الثانية من القانون على أنه يتم استثناء الوثائق والمحفوظات الخاصة بالديوان الملكي وديوان ولي العهد وقوة دفاع البحرين والأمن العام والحرس الوطني وجهاز الأمن الوطني من مهام تجميع الوثائق العامة والإشراف على حفظها وأرشفتها وتنظيمها لتداولها للباحثين من قبل مركز «الأرشيف الوطني» الذي نص بإنشائه الأمر الملكي في مركز عيسى الثقافي. طبعاً المقصود هنا تحديدا المعلومات التي لا ترغب الدولة بأن يعرفها الرأي العام، والتي تكشف واقع الفساد المؤسساتي للدولة. ولعل حادثة تقرير البندر الشهير تكفي بأن تكون شاهدا على ذلك.

* حقوقى بحرينى

وقد صدر في تونس، قبل سقوط الرئيس التونسي السابق زين العابدين بن علي، قانونان من تشريعات الأرشيف، الأول هو قانون عدد 95 لسنة 1988، والثاني قانون أساسي عدد 63 لسنة 2004. أما الأوامر فقد بلغ مجموعها 17 أمرا ما بين 1979 حتى سنة 2004، وصدرت 7 قرارات من الوزير الأول ما بين 1993 - 2001 تناولت عناوين متعددة، أبرزها تنظيم وتسيير الأرشيف الوطني. ومع أن النص القانوني في تشريعات الأرشيف التونسية تجيز الوصول للمعلومات لم يسمح بن علي بذلك؛ كما أنه لم يقيم بادراج أرشيفات الرئاسة والوزارات في الأرشيف الوطني للتغطية على الفساد.

وبحسب الفصل 15 من القسم الثالث (الإطلاع على الأرشيف العام) لقانون 95 في تونس فإنه لا يمكن الإطلاع على الأرشيف العام إلا بعد انقضاء 30 سنة. أما في ما يتعلق بالحياة الخاصة، فبعد ستين سنة، فيما قضايا المحاكم ووثائق التسجيلات والمعلومات الشخصية والطبية والمهنية والحالة المدنية فبعد 100 سنة.

وقد تسبب إصدار الرئيس التونسي السابق المنصف الرزوقي، في نهاية نوفمبر 2013 بفترة رئاسته، لمؤلفه تحت عنوان: «منظومة الدعاية تحت حكم ابن علي - الكتاب الأسود» بجدل واسع. إذ يتمحور مضمون الكتاب حول أرشيف الوثائق التي نجت من الإلتاف بعد الثورة التونسية، وعثر عليها في قصر قرطاج الرئاسي. وتكشف أسماء 376 إعلامي تونسي وأجنبي كانوا يشاركون بتلميع صورة بن علي. ولقد تخوف بعض المراقبين من تأثير ذلك على عملية العدالة الانتقالية، بيد أن قيام المجلس الوطني التأسيسي بالمصادقة في ديسمبر 2015 على مشروع قانون العدالة الانتقالية؛ لتأسس بعدها هيئة الحقيقة والكرامة، لم يمهّد معركة الأرشيف من دائرة الصراع السياسي. فقد

المخطوطات العربية والعجمية في الكاميرون.. شاهد على تاريخ البلاد

ترجمة: غنى مونس*

تعدّ المخطوطات العربية والعجمية في الكاميرون تراثًا فكريًا وإنسانيًا وشاهدًا على المراحل التاريخية التي شهدتها البلاد. ولقد قدم الطالب «حمادو آداما» دراسة في جامعة نجاونديري في الكاميرون، تناول فيها تاريخ هذه المخطوطات، وأسباب ظهورها مسلطاً الضوء على الطريقة التي أصبحت بها الأبجدية العربية قيد التداول في نسخ هذه المخطوطات والعمل بها.

وأشار «حمادو آداما» إلى أن المخطوطات العربية والعجمية في الكاميرون برزت منذ القرن الثامن عشر للميلاد. ويعود وجود هذه المخطوطات فيها إلى ما يمكن لنا تسميته بـ «التبشير» الإسلامي وأيضاً النشاط التجاري للشعوب الأفريقية وكذلك المسافرين الأوروبيين القادمين إلى هذه البلاد، من أفريقيا الغربية.

وفي حين تشق الأبحاث حول هذه المخطوطات طريقها بين كثير من الموضوعات الأخرى، مع أنه لم يتم إلا تصنيف

أشار «حمادو آداما» إلى أن المخطوطات العربية والعجمية في الكاميرون برزت منذ القرن الثامن عشر للميلاد. ويعود وجود هذه المخطوطات فيها إلى ما يمكن لنا تسميته بـ «التبشير» الإسلامي وأيضاً النشاط التجاري للشعوب الأفريقية وكذلك المسافرين الأوروبيين القادمين إلى هذه البلاد، من أفريقيا الغربية.



قادها الأمير موديبو، بناء على تعليمات الشيخ عثمان دان فوديو دي سوكتو (نيجيريا حاليًا) في العام 1806.

وأشار «آداما» إلى أن هذين العاملين شكلا مفصلاً مهمًا في تاريخ الكاميرون، حيث إنهما أدخلتا الأبجدية العربية إلى الجهات الجنوبية من ساحل التشاد، لتنتشر لاحقًا عبر المدارس القرآنية ومراكز التنشئة الإسلامية. وزاد من انتشارها المسافرون والأولياء المغاربة الذين يزورون المنطقة. وقد أدت المخطوطات العربية والعجمية دورًا مفصليًا في التنظيم الإداري بالنسبة إلى كل من الكيان السياسي الإسلامي وكذلك الاستعماري في المنطقة.

ولدى دراسته لبعض هذه المخطوطات، اكتشف «آداما» أن كتبتها كانوا من دون أدنى شك طلابًا لسنوات في المدارس القرآنية، خضعوا لتدريبات مكثفة ومارسوا كتابة النصوص المقدسة لمدة طويلة، قبل أن يعرضوا خدماتهم، مقابل الحصول على أجر، على الملوكة، الحريصين على سمعة بلاطهم. وقد سهل الأمر إذكاء جذوة الكتابة العربية، إذ وضعها في قلب الإدارة الاستعمارية. وبشكل غير مباشر، ساهم توظيف المترجمين والمحررين المسلمين في مجالات تختص بالتواصل للحفاظ على النظام الاجتماعي، في زيادة «التبشير» الإسلامي.

وتركزت الدراسة التي تناولت هذه المخطوطات على المسار الأكاديمي للكتابة، وكذلك موضوعات وأنماط الكتابة، والأدوات المستخدمة في التوثيق من ورق وقماش

عدد قليل منها، إلا أن إعادة اكتشاف هذه المصادر لتاريخ الكاميرون، من الباحثين الشباب، تشكل بادرة مشجعة في هذا المجال.

وأفاد «آداما» بأن كتابة هذه المخطوطات هي في الواقع تقليد بدأ مع حلول الخلافة الإسلامية في البلاد، إثر حرب قادها الأمير موديبو آداما دي يولا، الملازم الأول في جيش الشيخ عثمان دان فوديو، مؤسس خلافة سوكتو في نيجيريا حاليًا. وقد انتشرت من خلال المدارس القرآنية الموزعة على طول الساحل، قبل دخول الاستعمار إلى هذه المناطق المتأثرة بالعرب والبربر.

كما أوضح بأن عدة أحداث تاريخية ساهمت في صنع هذا التقليد المتمثل بكتابة المخطوطات العربية والعجمية في الكاميرون. وقد لفت انتباهنا عدة أحداث أبرزها وصول إدريس ألوما إلى البورنو في العام 1581 للميلاد.

وأوضح الباحث في دراسته أنه يشار بـ «عجمي» إلى كل ما هو بعيد عن الثقافة والتقاليد العربية. وهنا، يشير المصطلح إلى كل النصوص المكتوبة بأحرف عربية، ولكن بلغات محلية مثل الفولفود أو الهوسا أو الكانوري. ويعود استخدام الأحرف العربية في استنساخ اللغات الأفريقية إلى البدايات الأولى للإسلام في أفريقيا، حيث إن هذه التجربة الأدبية بدأت بالنسبة لشعوب الساحل التشادي منذ القرن السادس عشر من جهة، لدى القبائل المجاورة للجنوب، ومن جهة أخرى، من خلال حركة الجهاد التي



الدينية، ومن دون تعاون مفيد على نحو متبادل بين الزعماء المحليين وإدارة الاستعمار، حيث كان كل منهما يفيد مما يعدّه تسوية تاريخية فعلية، لما كان كتبة المخطوطات والناسخون وكل رجال الآداب أنجزوا على الأغلب أعمالاً بمثل هذا الجمال.

* مترجمة لبنانية

وما إلى ذلك، ليصار إلى لحظ الصعوبات في ترجمتها وتصنيف المحتويات؛ وكذلك المجالات التي يمكن سبرها للإحاطة بالموضوع بشكل أفضل، بحيث يتم إيلاء هذه المخطوطات الأهمية التي تستحقها في مجال أرشفة العلوم القديمة.

واختتم الباحث دراسته بالإشارة إلى بعض الملاحظات التي توصل إليها، منها أن كتابة المخطوطات العربية والعجمية تتعلق بالمستوى الفكري للكتبة، وتعاونهم مع الأمراء الحاكمين وبقربهم من مراكز إنتاج المعرفة الإسلامية التي ينتمون إليها، حيث يتواصلون معها كما يتبادلون معها الأفكار.

ولفت كذلك إلى وجود مراسلات عديدة، شكّلت وسائل إخبارية لصالح الإدارات الاستعمارية المتعاطفة، مشيراً إلى أن منطقة بانيو في الكامبيرون كانت المركز الأبرز لإصدار صحف عسكرية تنقل الإنجازات الحربية للمجاهدين في المنطقة الاستوائية. وأخيراً، قال الباحث إنه من دون هذا التبادل في الخدمات بين السلطة في الكامبيرون والسلطات

وثيقة وحكاية

جزر البحرين بين حكم «الهرامزة» وأطماع القبائل العربية

د. محمد السلطان*

45

الوثائق هي المادة الحية لتسجيل حركة التاريخ وديمومته، أما الإنسان فهو صانع ذاك التاريخ. ولذا فلا شك بأن التاريخ بحق، هو الوثائق والمخطوطات التي تُشكل الأساس في كتابته. وأي تاريخ يُكتب في غياب تام للوثائق والمخطوطات يُنظر إليه بعين الشك والحذر الدائم. وإن كان هذا لا يعني إهمال التاريخ الشفهي الذي يُنقل على لسان الرواد الأوائل، خصوصاً إن كان بحضور من سجل حديث أولئك الرواد الرواة، أو كان على شكل مذكرات شخصية لزعيم روحي، أو سياسي، أو تربيوي، أو اقتصادي، أو غيرهم.

والوثائق، في معناها العام، هي كل الأصول المدونة التي تحتوي على معلومات تاريخية يعتمد عليها الباحثون في كتابة التاريخ. وتحديدًا أكثر، الوثيقة هي كل ما هو مكتوب بخط اليد، أو مطبوع، ويُشكل أهميته في دعم البحث التاريخي، مما أفرزته المؤسسات والجهات الرسمية، أو شبه الرسمية عبر الشخصيات المتنوعة في المجتمع، سواء من معاهدات، ومراسلات سياسية، وتقارير سرية، وتعليمات، وأوامر، وقوانين، وغيرها. كل هذه وتلك تعدّ من بين الوثائق التي يبحث عنها الدارسون للتاريخ والباحثون فيه.

وفي هذه الزاوية من (حكاية وثيقة)، سنكون معنيين بالبحث عن الوثائق الورقية فقط، سواء المخطوط منها أو المطبوع، وعرضها والتعليق عليها بشكل مختصر، خصوصاً تلك التي تتناول جميع جوانب الحياة في محيط المياه الخليجية الزرقاء بين الساحلين العربي والإيراني، خلال القرون بين السادس عشر والعشرين للميلاد.

من كان يتصور أن بعض زعماء قبائل العرب، والهرامزة، قد تكالبوا سوياً، عن طريق مد يد العون للبرتغاليين، في أن يكونوا هم السبب المباشر لأن تفقد جزر البحرين مرة أخرى استقلالها وتقع تحت يد المحتل الخارجي لها؟! لكنه الواقع التاريخي المرير والذي يُعيد نفسه عنوة أحياناً على مر العصور.

وهذه الوثيقة التي نستعرضها هنا، هي عبارة عن رسالة من عماد الدين مراد إلى شرف الدين لطف الله الفالي وزير هُرمز، يتحدث ضمنها عن طمع الشيخ مانع بن راشد آل مغامس () في الاستيلاء على جزر البحرين. وبدلاً من أن يقوم بحماية العرب من قومه، فإنه اضطرهم للجوء لحماية «الهرامزة» في جزر البحرين، وذلك في قوله عن الشيخ مانع: «راودته فكرة الاستيلاء على البحرين للقبض على العرب من آل رحال ()، الذين فروا إلى هناك بسبب الظلم الذي تعرّضوا له. فأحاطهم محمود، وزير البحرين برعايته وحمايته ورفض تسليمهم إليه، إلا أن شيخ العرب مانع، ما لبث أن رأى أن الظروف تقتضي الصلح مع وزير البحرين والكف عن التفكير بشن الحرب عليه، فانسحب من أمام البحرين ليعود أدراجه إلى الأحساء قبل أن تكتمل ملامح الصلح بينهما بشكل جلي».

حُررت في جيرون [هُرمز] في جمادى الآخرة [د. ت.]

خادمكم عمادالدين مراد

وسبب هرب أو هجرة تجار اللؤلؤ هؤلاء من أسرة آل رحال، وتحديداً محمد وحسين بن رحال وعائلتيهما، كما تبعهم أفراد من آل مسلم كذلك لاحقاً بقيادة محمد بن مسلم وأتباعه؛ هي سياسة الشيخ مانع الاقتصادية في فرض الضرائب الكبيرة على تجار اللؤلؤ، والخيول. مما اضطرهم للجوء إلى عدو الشيخ مانع، وهو الرئيس محمود الفالي، حاكم البحرين آنذاك. وكما تذكر بعض الوثائق البرتغالية

فقد أرسل الشيخ محمد بن مغامس الفضلي، زعيم آل شبيب في البصرة عام 1519، برسالة إلى حاكم الهند البرتغالي المدعو (Diogo Lopus de Sequeira)، تتضمن استعداده لدفع مبلغ يقدر بنحو مئة ألف أشرفي للبرتغاليين، أي نصف ميزانية هُرمز مجتمعة آنذاك، إذا ساعده في السيطرة على البحرين، والقطيف، حيث سيعترف بعدها بتبعيتهما لملك البرتغال.

وهنا نطرح حكاية وثيقة لها علاقة بأسرة آل مغامس، المذكورة أعلاه، وفي جزئية خاصة بموقفها من بعض المهاجرين من الأحساء إلى البحرين هرباً من سياط البطش، وسياسة الظلم التي لحقت بهم خلال مرحلة صدور الوثيقة.

هذه الوثيقة متوافرة اليوم في الأرشيف الوطني البرتغالي في العاصمة «لشبونة» والمعروف باسم (Arquivo Nacional da Torre de Tombo) وتحديدًا تحت عنوان خاص بالوثائق الشرقية (Documentos Orientais)، من عربية، وفارسية، وغيرها. وأخذت رقم 62 ضمن مجموعة (الميكروفيلم) في الأرشيف، وهي منسوخة بشكل خاص تحت رقم (292)، ومدونة باللغة الفارسية القديمة. ولم تُذكر سنة كتابتها، لكن الغالب أنها دُوّنت في مطلع الأربعينيات من القرن السادس عشر للميلاد، استناداً

دعماً لهذه الوثيقة «الهُرمزية»، فإن الرئيس محمود الفالي، تمكن من الوصول إلى موقع الشيخ مانع البحري، بطريقة ذكية عبر مياه الخليج بين جزر البحرين والقطيف، وقام بعملية (كوماندوس) بحرية وفق التعبير الحديث، أدت لحرمانه مما استولى عليه بغير وجه حق، حيث تم إحراق نحو 150 مركباً كانت تابعه لملك هُرمز استولى عليها الشيخ مانع في وقت سابق. فقام الشيخ مانع بالاستيلاء على جميع مراكب تجار البحرين الموجودة وقتذاك في البصرة بسلعها التجارية. وهذا ما لم يرض عنه أعيان البصرة وتجارها، فطردوا الشيخ مانع، وبايعوا بدلاً عنه ابن عمه، يحيى بن محمد بن مغامس عام 1544. مما دفع الشيخ العربي الأخير، بالنظر في مصالحه السياسية والاقتصادية، فقرر الإسراع بإقامة علاقات ودية مع البرتغاليين مباشرة، في (القرنة)، قريباً من البصرة ليتقوى بهم على أعدائه. كما سارع الشيخ مانع في العام نفسه، بفتح ملف العلاقة مع البرتغاليين في هُرمز وعرض عليهم، في رسالة دُونت في شهر نوفمبر من العام 1544، [سنعرض لها مستقبلاً] تسليمهم القطيف إليهم، إذا ما مدّوا له يد العون العسكري ليتمكن من استرجاع عرشه الذي تمّ اغتصابه منه، كما يقول، في البصرة.

*باحث أكاديمي

دياجو لوبيز دي سكويرا: حاكم الهند البرتغالية في عهد الملك أمانويل الأول، وجزء من الملك (جواو الثالث)، وكانت مدة توليه منصبه بين 1518-1522م.

الأشرفي: عملة ذهبية خالصة عيارها $\frac{1}{8}$ 23 قيراط، ووزنها 2,56 أو 2,57 غرام.

Smith, R. B., João de Meira. Being Portuguese texts ... relative to Joao de Meira's little known voyage to Basra 61-in 1517 and 1521 (Lisbon, 1973), pp. 60

الشيخ مانع بن راشد بن مغامس الفضلي: وريث مملكة (آل شبيب) من قبائل المنتفق (أو المنتفج)، التي نشأت في شرق شبه الجزيرة العربية، وضمت المساحات الجغرافية العربية من شواطئ الفرات شمالاً حتى إقليم البحرين القديم جنوباً، ونجد غرباً إلى حدود تهامة. تولى الحكم في مملكة والده السلطان راشد الفضلي بعد وفاته، كما يُعتقد في عام 1539م. لم يكن يملك المؤهلات القيادية كالتي كانت عند والده، ولا المكانة الكبيرة التي كان يحظى بها في أوساط الناس وبين زعماء المنتفق، إضافة إلى انه كان ذا ميول عثمانية، إلا أنه كان عنيداً وصلب العود في مواجهة الراضين لحكمه وأعداء المملكة. وفي فترة توليه السلطة في مملكة والده، توفي حاكم البحرين الهُرمزي بدرالدين الفالي، حوالي مطلع الأربعينيات من القرن السادس عشر للميلاد، فتولى بعده أخاه محمود الفالي الحكم مباشرة، وفي عهده وقعت تلك الحادثة. انظر للمزيد: الحميدان، عبداللطيف، ناصر (الرياض، 1997).

أسرة آل رحال: كانوا من كبار تجار اللؤلؤ في المنطقة، ويعدون من أسر القطيف الغنية جداً. وقد تعرضت هذه الأسرة الغنية، كما يبدو لأكثر من هجرة في تاريخها الأسري هرباً من منطقة الأحساء. فقد حدثت هجرة مشابهة للتي نذكرها هنا، استناداً لما ذكرته دفاتر المهمة العثمانية للأعوام 967، 980، 983 هـ لزعيمين أيضاً من هذه الأسرة المنكوبة، اسمهما جمعة بن رحال، وخميس بن رحال، وقد هاجرا إلى جزر البحرين أيضاً، بسبب مصادرة بعض الولاة العثمانيين لأموالهما وسفنهما.





کشکول



كشكول

السيد الغروي البحريني..
فصل من رحلة في الغربية
محمد العصفور*

51

في المسجد الذي أمّ فيه المصلين كان لقاءنا معه بمدينة صور في جنوب لبنان.. لاحت لنا منارة قديمة، هي منارة مسجد الامام الصادق (ع)، تلك المنارة التي تحمل في التوائها عبق التاريخ الممتد من البحرين إلى إيران إلى النجف ثم البحرين ودولة الامارات ..

في لبنان يستقرّ حيث لاح محياه سيديا كريما التصق بالتراب تواضعا، تبدّت في جبينه علائم النجابة. صافحته وقبّلت جبينه، ثم همست في أذنه قائلا: «أنا من البحرين جئت للتشرف بالجلوس معك».. ودون أن يعرف غاية السؤال، أجاب: « تفضلوا .. البيت قريب».

للهولة الأولى، تراحمت أفكاره وقفزت الأسئلة إلى خاطري في حضرة سيد جليل مخصّته الحياة، وقبلها مخصّ نفسه عبدا مخلصا في خدمة ما يؤمن به، فاغترب في سبيل الكرامة التي أمره الله أن يصونها حكما، خنقه الأمن في العراق فلاذ بموطنه الأم البحرين.

التحدّر من أصول بحرينية

لماذا البحرين؟!..السيد محمد بن السيد حسين بن السيد محمد بن السيد عبد الله الغروي القميشي البحراني يتحدّر من أصول بحرانية ترجع إلى عالم يدعى الملا السيد زكي البحراني، وهم من نسل يسمون في إيران السادة البحارنة. يخبرنا: « نزح جدي السيد زكي الى إيران، وفي إحدى القرى الإيرانية أقام حيث كانت تفتقر الى إمام الجماعة يوم ذاك، واليها

«: شاء القدر أن أنزح، عن النجف الأشرف في سنة 1975، لكن ذلك لم يحدث قبل التشاور مع السيد أبي القاسم الخوئي والسيد محمود الشاهرودي، واقترحا أن أكون وكيلاً للمرجعية هناك».

لم يغادر السيد الغروي مباشرة إلى البحرين، حط رحاله أولاً في لبنان، حيث تشاور مع الإمام المغيب السيد موسى الصدر الذي أخبره أن الشعب البحريني من أكثر شعوب الخليج ثقافة. وحمله رسائل إلى شخصيات مختلفة في البحرين، من تجار وعلماء.

في البحرين، التقى السيد الغروي بالشيخ سليمان المدني، الذي كان زميله في كلية الفقه بالنجف الأشرف. وكان يتردد على بيت السيد علوي الغريفي (رحمه الله)، وعلماء آخرين أجلاء. «كان وجودي في البحرين بغرض أن أكون وكيلاً عن المرجعية، وليس لأي غرض سياسي. وفي تلك الاثناء وفي أيام شهر رمضان المبارك انبهرت من حضور الحسينيات الكثيف والتدين الذي يتحلى به أهل البحرين وحبهم وولائهم لأهل البيت (عليهم السلام). وكنت ألتقي الشباب العاملين في الحقل الإسلامي وأصلي في أحد مساجد العاصمة. وفي فترة إقامتي في البحرين حدث أمر في العراق، حيث جاءني مكالمة بأن نظام البعث العراقي اعتقل الشيخ عارف البصري أحد أقطاب حزب الدعوة. كانت تلك المكالمة تحثني على التحرك وعمل شيء في البحرين، من أجل الشيخ البصري، وأقلقني وجعلني أتأمل أكثر. فذهبت إلى السنترال بعد منتصف الليل، واتصلت بالسيد موسى الصدر، وأخبرته بما حدث، فأجابني أن استطعت مع العلماء تنظيم تظاهرة كبيرة في البحرين احتجاجاً على ذلك، وإلا فلا تستطيع أن تفعل شيئاً أكثر».

أنسب وإلى البحرين وإلى النجف الأشرف، فأدعى السيد محمد الغروي نسبة إلى الغري/ النجف الأشرف/ القميشي نسبة إلى قمش التي نزع إليها جدي السيد ملا سيد زكي/ البحراني - ورهما نسب أيضاً إلى جبل عامل حيث أقام في صور زهاء 37 سنة.

ولد السيد الغروي في النجف، وحين سألته عن سنة المولد، قال: «وجدت على ظهر المصحف الذي يقرأ فيه والدي، مكتوباً عليه أن ميلادي سنة 1395 للهجرة ويصادف 1936 ميلادياً. وهي عادة يتبعها العلماء في تدوين تاريخ الولادات على ظهر المصحف. وربما يُعَلَّل ذلك إلى أن المصحف أقدس وثيقة تحفظ من الضياع». كانت هذه المقدمة محفزاً لنا على سؤاله عن بداية مشواره العلمي الكبير، فسرنا قائلاً: «كنت لا أزال طفلاً حين أودعني والدي المكتب، والمكتب يعني الكُتَّاب، كما دأب على تسميته الناس في البلدان المجاورة. فتعلمت تلاوة القرآن الكريم وحفظه، والقراءة والكتابة والحساب والهندسة. وبقيت في كُتَّاب الشيخ عبد الله النيشابوري، حتى التحقت بالحوزة العلمية وأنا في سن الثانية عشرة، في مدرسة الشيخ الاخوند المجاورة لمدرسة الشيخ البخارائي. وهناك بدأت في دراسة المقدمات العربية على يد الشيخ الأفغاني - ذلك الأستاذ الموصوف في دراسة الأدب العربي في الحوزة. ودرست المقدمات والسطوح، وأنهيت درس الكُتَّاب فالتحقت بدرس السيد الشهيد الصدر، ودرس السيد أبي القاسم الخوئي. وأتممت عنده دورة الاصول والتي تدوم عادة ست سنوات».

عودة قصيرة إلى البحرين «الوطن الأم»

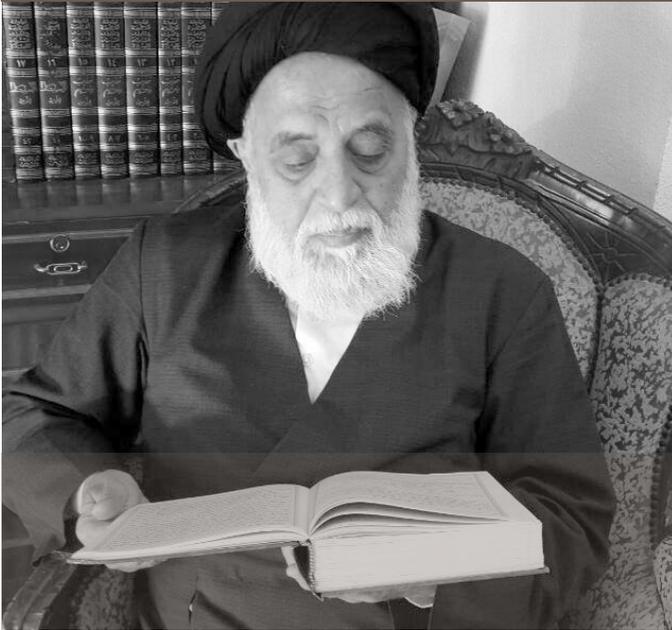
يروى السيد الغروي لنا كيف اشتدت عليه الرقابة والملاحقة من حزب البعث العراقي في أثناء حكم الطاغية صدام حسين، الذي كان يضطهد العلماء ويلحقهم. يقول

يقول السيد الغروي مختتما هذا الفصل من حياته: «بعدها سافرت إلى دبي حيث ألتقيت بالعلامة السيد مهدي الحكيم، وكان رئيساً للأوقاف هناك، والشيخ مهدي العطار. وتم تكليفي من السيد مهدي الحكيم سدّ فراغ إمامة الجماعة في مسجد حاج عيسى محفوظ في «أبي ظبي»، إلا أن المقام لم يطل بي هناك، إلا شهراً، كما لم يطل بي المقام في البحرين غير ثلاثة أشهر، فطويت الصفحة..».

لم يستطع السيد الغروي فعل شيء يذكر بهذا الصدد، حتى عرف أن الشيخ نجم الدين الطبرسي قد عزم على المجيء إلى البحرين وكيلا عن السيد محمود الشاهرودي. فبادرت إلى استقباله في المطار. وكان الشيخ مستبشراً بقدومي. وكان قد شكّل قدوم الشيخ الطبرسي إلى البحرين للسيد الغروي عزاء كبيراً في سد فراغ مدقع في الساحة العلمية.

يقول السيد الغروي مختتما هذا الفصل من حياته: «بعدها سافرت إلى دبي حيث ألتقيت بالعلامة السيد مهدي الحكيم، وكان رئيساً للأوقاف هناك، والشيخ مهدي العطار. وتم تكليفي من السيد مهدي الحكيم سدّ فراغ إمامة الجماعة في مسجد حاج عيسى محفوظ في «أبي ظبي»، إلا أن المقام لم يطل بي هناك، إلا شهراً، كما لم يطل بي المقام في البحرين غير ثلاثة أشهر، فطويت الصفحة..».

* كاتب بحريني



حديث الحمير .. حكايات أيام زمان

حسن الوردي*

عندما اقترح عليّ الدكتور علي أحمد الديري الكتابة عن الحمير في منطقة الدير لتكون توثيقاً لمرحلة من الزمن، حيث كان الإنسان في المنطقة يستعين بهذه الحيوانات الأليفة لمساعدته في بعض الأعمال - قلت في سري عاد عن الحمير يا دكتور!.. لكنني استدركت، وقلت له إن الموضوع يبدو مثيراً.. ومع أن بيئتي الطفولية ليست بيئة بحرية أو زراعية، إلا أنني ولدت في الدير، وعشت طفولة ثرية في حراكها ولهوها البرّي في تلك الازقة المتربة. كما عاصرت تلك الفترة التي كان للحمير فيها صولات وجولات حيث إنها الوسيلة كانت المثالية لمساعدة الإنسان في الأعمال الزراعية وفي الصيد البحري بشكل خاص.

54

ركلتها لا تزال أثارها إلى اليوم !..

ولقد مررت شخصياً في مرحلة الطفولة بتجربة قاسية مع أنثى الحمار «أتان». فقد كنتا نجري ورائها عبر الأزقة نريد الإمساك بها، وعند أحد المنعطفات على الطريق أدركتها وأمسكت ذيلها فما كان منها إلا أن ركلتني ركلة قوية لم أفق إلا وأنا ملقى في بيت خالتي والدماء تنزف من شفتي وذفتي، ولا تزال آثار هذا الجرح باقية إلى اليوم ! ..

حضرتني هذه الحادثة، وبحضورها تداعت الكثير من الذكريات الطريفة عن الحمير في قرينتنا الحبيبة.. ذات مرّة في الثمانينيات من القرن الماضي، اتصل أحد زملاء المهنة من منطقة «الحد» طالباً مني إرشاده إلى مكان تكثر فيه الحمير، لأن أولاده - كما قال - يريدون رؤية هذا الحيوان في الطبيعة، بلحمه وشحمه.. وقال إن أقرب منطقة وأكثرها شهرة بوجود الحمير فيها هي «الدير».. !! ..

في الحقيقة، امتعضت من كلامه في البداية، وظننت أن في الأمر تورية أو مزاحاً ثقيلاً فيه نوع من المجاز !!.. لكن، بعدها



يبدو أن الحديث عن عالم الحمير بدأ يحلو ويتشعب. فهذه ظاهرة أخرى، لفت نظري لها أحد الأخوة، وهي أن معظم مستخدمي الحمير في قرية «الدير» يفضلون اقتناء الأناث وتربيتها أكثر من الذكور، لأنهم كما يقولون «الآن عريكة وألس في القيادة ولا تحتاج إلى جهد كبير في «تعسيها». والتعسيف هو مصطلح الترويض نفسه بالنسبة للخيول. وطريقة تعسيف الحمير، كما سمعت تبدأ بإدخال الأنثى إلى البحر والركوب على ظهرها، حيث تبدأ بالنفور والركل العنيف في الماء، لكنها بعد فترة تألف ركوب الإنسان عليها كما تعتاد على تحمّل الأثقال على ظهرها .

حمير أهل «الدير».. احذروا منهم !

وتحتفظ الذاكرة الجمعية لأهالي الدير في السبعينيات أن شخصاً من المحرق يسمى «بروك الجمل» كانت مهمته تنظيف حُفر المجاري «البواليع»، قبل انشاء مشروع الصرف الصحي. وكان يساعده حماره القوي في نقل المخلفات إلى البحر. ويقال إنه وفي أحد المرات أفلت زمام الحمار من «بروك» وأسرع جرياً إلى حمارة واقفة، ونزا عليها عدة مرات فسقط على أثرها ميتاً...!!.

عرفت حسن نية الزميل وأنه لا يقصد شيئاً مما ذهبت إليه...!. وفعلاً حضر إلى الدير قبل المساء، ومن حسن حظه أننا شاهدنا حمارتين، واحدة واقفة والأخرى مستلقية على الأرض تحكّ جلدها بالتراب !!.

ومن أطرف ما سمعت أيضاً في هذا السياق أن أهالي قرية عراد كانوا يحذرون من مملك حماراً ذكراً ألا يقترب به من منطقة الدير...!! يا ترى ما سبب هذا التحذير ؟ ..

لنتكّ الذاكرة تجود علينا من مخزونها، وتحكي بعض اللطائف حول الحمير .. وهذا موقف آخر حصل لي أيضاً وذلك عندما جائني أحد الجيران مبتسماً، وقال لي: «يا أستاذ حسن، إن لي عندك طلباً فارجو الا تخبّ ظني»، قلت له: «تفضل...»، قال: «إننا مجموعة من الشباب وقع بيننا رهان عليك أنت بالذات وهو أن تركب هذه الحمارة الأليفة من هذه النقطة، وتدور بها على مسجد الخيف ثم ترجع إلى هذا المكان، ولك منا مائة دينار !!». قلت له بدون تردد: «اسمح لي، طلبك هذا مرفوض جملة وتفصيلاً، ليس خوفاً من ركوب الحمارة، ولكن خوفاً من نظرة المجتمع بعد ذلك وصعوبة اقناعهم بأنني بكامل قواي العقلية، وأعتقد هنا لا تتفنعني المائة دينار أو أكثر.!!».

البيوت بعصاة لتخرج النساء للشراء، وهو على ظهر حمارته لا ينزل لكبر سنه..! ويذكره الكثيرون وهو يردد بعض الأهازيج كدعاية لمبيعاته ..

الحمار هذا الحيوان الأليف وصديق الإنسان والذي روضه الفراعنة منذ آلاف السنين .. كما أنه ذكر في القرآن الكريم (وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً - وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).. إذ يعدّ هذا الحيوان في الواقع بطلاً مظلوماً. إذ لحقت به صفة الغباء رغم ما يمتاز به من ذكاء يتحدث عنه الأشخاص الذين تعاملوا مع هذا الحيوان. فهو يحفظ مكانه ولا يضيّعه، سواء المنزل أو المزرعة وحتى الذهب إلى مصائد الأسماك «الحضور» في عرض البحر.. ولقد اشتهرت حمارة الحاج حسن الحماقي (رحمه الله) في هذا المجال ..

الآن وقد انفضّ السامر، وذهب ذلك الزمان ولم تعد الحاجة قائمة للحمير، وانتهت ظاهرة وجودهم في شوارع الدير القديمة وأزقتها، لا يسعنا إلا أن نردد ... وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ... ولكل زمان دولة ورجال

*مدون في التراث الشعبي

ولقد شاهدت شخصياً أحد الحمير الذكور وقد هجم على آتان كانت محصورة بين سياج، لكنه لم يتمكن منها لأنه علق على هذا السياج ! . ومن هنا نفهم خوف أهالي «عراد» على حميرهم الذكور من الاقتراب من الدير!!..

أما اقتناء الذكور وتربيتهم في «الدير» فعددهم محدود جداً. وقد عاصرنا منهم الحاج ابراهيم عباس وأخيه الحاج حسن عباس (رحمهم الله) وابن اختهم الحاج عباس. ومن المشهورين في مهنة «الحمارة» في القرية الحاج احمد بن علي بن سلمان السلموني وابنه الحاج حسن، ولقد ورثا هذه المهنة من جددهما الحاج علي بن سلمان السلموني والد الحاج سلمان وجد علي سلمان. وهناك وثيقة نادرة صادرة من بلدية المحرق في عشرينيات القرن الماضي تخصّ الحاج علي بن سلمان السلموني تخوله ممارسة مهنة الحمارة ..

والحمير الذكور عادة أقوىاء البنية ويستخدمون لنقل الرمال والحصى من البحر. ومؤخراً تمّ استخدام بعضهم في نقل أكياس الأرز من بعض المتاجر إلى المنازل.

أما الحادثة التي اصبحت حديث «الدير» في الستينيات، هي هيجان حمارة الحاج حسن بن احمد والد أبي حكيم وعضها لابنه عبدالله حسن احمد عضّة نافذة في يده، بعد أن دخل يقدّم لها الطعام، وكانت هذه الحمارة قد ولدت منذ أيام ..

وطبيعي، ونحن نتحدث عن الحمير أن لا ننسى حمارة «الحاج احمد بن حمود»..! وهو شخصية عُرف بالطرافة، ولقد عرفناه صغاراً يأتي ركباً حمارته بشكل يومي من منطقة الجنمة في سماهيج الى الدير، وهي محمّلة بأنواع الخضروات المحلية والمشموم والرازكي.. يطرق أبواب

الصورة: شاب يركب حمارا في قرية سار في عام 1961.

حياة الناس في القرية البحرينية

«قبل النفط»

أمينة الفردان*

قديماً، عاش الناس حالاً من الفقر الشديد، نتيجة لعدم توافر الأعمال. يقول المرحوم «الحاج جعفر» الثماني: «ففي تلك السنوات العصيبة التي سبقت اكتشاف النفط، لم تتوفر إلا أعمالاً قليلة يعتاش منها الناس، فلم يجدوا بديلاً إلا العمل مع عوائلهم تحت ظروف القهر في أحياء كثيرة من أجل أن يحظى الفرد منهم بطعام يسد رمقه. وفي تلك السنوات، برزت ظاهرة التسول عند بعض الناس، وبخاصة عند أبواب العوائل الميسورة ومجالسها ممن يمتلكون المزارع لكي يحصلوا على الطعام ولو كانت ثمرة تسد جوعهم».

وقالت المرحومة الحاجة التسعينية «كلثم مرهون»: «في أيامنا كان القحط، وتلك السنوات الصعبة سمتها الناس «سنوات الرحمة». ومن شدة الفقر كان الناس يرتدون الملابس المرقعة بالإضافة إلى أنهم كانوا يمشون حفاة، فكانوا يذهبون مشياً على أقدامهم إلى قرية صدد البعيدة قليلاً لكي ينالوا نصيبهم من التمويل الذي كانت تدفعه الدولة آنذاك».

وفيما بعد انتقل مكان توزيع التمويل إلى قرية كرزكان. فكما يقول «الحاج جعفر»: «أتذكر التمويل الذي كان يوزعه الفرسان. وهو عبارة عن أكياس تمر، توزع للأسر. كنت طفلاً حينها، فجربت أن أقترب من الفرسان لأطلب منه حقي في كيس العطاء، إلا أنني حصلت على لشطة ضربة، فغضبت وهربت بعيداً».

بعدها استلم مهمة توزيع التمويل «الحاج إبراهيم بن كاظم الفردان» والذي كان يصره على الأسر المحتاجة في القرية تبعاً لعدد أفرادها. وهذا التمويل هو عبارة عن طعام وملابس مدفوعة من قبل الدولة.

لقد جاءت البشرية في مطلع الثلاثينات من القرن الماضي، حين بدأت الطفرة النفطية، وما تبعها من تحول إقتصادي، فتحسنت أحوال الناس. وكانت أولى بوادر الخير الأنشطة التجارية داخل البيوت، مثل دكان «الحاج إبراهيم بن كاظم

الفردان»، والذي كان يذهب لسوق المنامة لشراء بضاعته من هناك، ثم يأتي ويبيعها في القرية. وتركزت تلك البضاعة على الكثير من المواد الغذائية الأساسية كالرز والسكر. وكان آنذاك يعدّ شراء هذه المواد من اختصاصات الرجل لا المرأة.

في تلك السنوات برز نشاط آخر لـ«الحاج محمد حسين الفردان»، وهو عبارة عن بيع الأقمشة للنساء والرجال على حدّ سواء. فكان الأهالي آنذاك يلقبونه بـ«البزاز» أي بائع الأقمشة. وكان الحاج محمد (البزاز) يتنقل على حمارة حاملاً بضاعته من الأقمشة المتعددة الأنواع والألوان والأشكال قاصداً القرى المجاورة مثل قريتي المالكية ودار كليب.

ومع وجود البزاز، كانت العوائل تحدّد لنسائها شراء «الكسوة» مرة إلى ثلاث مرات في السنة الهجرية. والكسوة تعني كل ما تحتاج إليه المرأة آنذاك من أساسيات فقط مثل الملابس ودهن للشعر والمشط والنعال. إذ تخبرنا الحاجة فاطمة أنها عاشت في بيت عمها (والد زوجها)، وقد تمّ تحديد ثلاث مناسبات في السنة لإعطاء النساء كسوتهن، وهي كسوة العيد أي عيد الفطر وعيد الأضحى، وكسوة محرم. وتتابع: «عندما يحين وقت الكسوة، كنا نذهب إلى الحاج محمد البزاز لشراء القماش، وفيما بعد تقوم العائلة التي تقع المرأة في كفالتها والمتمثلة بكبير العائلة وهو الجد، بدفع المبلغ المستحق».

ويمكن أن أذكر هنا بأنني سمعت من أبناء المرحوم الحاج محمد البزاز «جدي» عن دفتر الديون، والذي ما زالوا يحتفظون به لكنهم تحفظوا بعرضه عليّ لأنه أمر

حساس، يكشف عن أسماء أصحابها، فإله سبحانه وتعالى أمر بالستر.

وبالرجوع إلى موضوع الكسوة، كان هناك بعض العوائل التي تقوم بدفع مبلغ من المال لكل امرأة في وقت الكسوة وذلك بإعطائها «دينارين» من أجل شراء ما تحتاج إليه من ملابس ومستلزمات أساسية.

ومع ذلك، هناك الإخبارية السبعينية «أم السادة»، التي تتحدث لنا عن وضعها المادي وكيف كان صعباً للغاية نتيجة لوفاة والدها، ولم تحصل على كل ما حصلت عليه تلك النسوة. إذ تقول: «في ذلك الزمان، عشنا حياة صعبة لأننا يتامى، فقد كان اليتيم يعاني بحق لأنه لا يجد من ينفق عليه ويرعاه. وكنتُ مع أخواتي نقوم بعمل السميم، وهو نوع من البساط الخوصي المنسوج يدوياً يستخدم لأسقف الدور. كنا نبيعها آنذاك بخمسين فلساً، هذا المبلغ كنا ندخره لنقوم فيما بعد بشراء ما نحتاج إليه».

كل ما ذكرته الإخباريات هنا يتعلق بصعوبة الوضع المعيشي الذي تغير إلى حد ما نتيجة لخروج الرجال للعمل في شركة بابكو (الجبل) مقابل 150 فلساً يحصل عليها العامل يومياً إلى أن ارتفع الراتب شيئاً فشيئاً. وهذا ما انعكس على الحال الشرائية عند بعض الأسر. إذ تقول الحاجة «أم أحمد» التي كان زوجها الحاج «صالح الشيخ» من أوائل الرجال الذين عملوا في الجبل «بابكو»: «قدماً كنت أشتري الأقمشة من الحاج محمد البزاز، لي ولبناتي مرة واحدة في الشهر. وعندما تعترضني بعض الظروف القاهرة وأتأخر عن الذهاب إليه، يحرص على عزل أقمشتي التي أعتدتُ على أخذها جانباً، حتى أذهب وأخذها بنفسى».

لقد اعتاد الأهالي قديماً على الحاج صالح وهو يجول في القرية منذ الصباح الباكر حاملاً بضاعته التي لم يألفها الناس من قبل كخبز العجم، والبخضم، حين يأتي بهما مُحمّلين على مراحل ليبيعهما للناس.

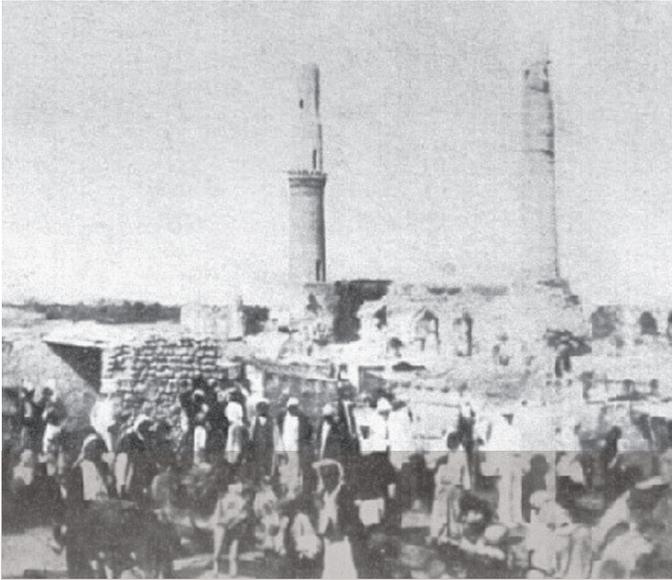
وفيما يتعلق بأسواق القرية، فمثلها مثل الأسواق الأخرى هي غير ثابتة، وإنما يقوم الباعة بعرض بضائعهم على قارعة الطريق وينادون عليها أو يتجولون بين البيوت وهو ينادون على نوع البضاعة التي يبيعونها فيخرج الناس لشرائها أو مقايضتها.» (157)

هذا ويحدّثنا الحاج جعفر الفردان عن «دكان صالح»، وهو أول محل تجاري مستقل (أي خارج البيوت) لبيع المواد الغذائية. فقد كان الحاج صالح يشتري بضاعته من سوق المنامة ثم يأتي لبيعها في القرية. ولقد اعتاد الأهالي قديماً على الحاج صالح وهو يجول في القرية منذ الصباح الباكر حاملاً بضاعته التي لم يألفها الناس من قبل كخبز العجم، والبخضم، حين يأتي بهما مُحمّلين على مراحل ليبيعهما للناس.

وقتها، كانت مسألة البيع والشراء مرتبطة في الغالب بشراء الأساسيات فقط، حتى يستطيع الناس مواصلة الحياة والبقاء على حدّ الكفاف.

*باحثة أنثروبولوجية من البحرين

الصورة: بحارثة في سوق الخميس بالقرب من المشهد ذو المنارتين في البلاد القديم في الخمسينات.



ART

FURNITURE
DESIGN



کتابخانه

ARCHITECTURE

ARCHITECTURE



متابعات

«وثائق نجد».. تقارير أمراء العثمانيين المعاصرين

61

ضمن سلسلة فهارس المخطوطات والوثائق، أصدرت «مؤسسة دار التراث» في النجف الأشرف كتاب «وثائق نجد»، تأليف السيد علي الموجاني ومساعدة أمير عقيقي بخشايشي. والكتاب عبارة عن تقارير أمراء العثمانيين المعاصرين لظهور محمد بن عبد الوهاب وإستقرار أول دولة لآل سعود في نجد والحجاز.

وتضمن الكتاب الذي قام بتعريبه عن الفارسية عقيل خورشاه عددا كبيرا من الوثائق المنتخبة من الأرشيف العثماني مع درج صورة الوثيقة. وصدره بمقدمة تضمنت دراسة وتحليل تأريخ الوهابية منذ نشوئها إلى وفاة مؤسسها محمد بن عبد الوهاب، مستعيناً ببعض الكتب التاريخية إلى جانب استفادته من وثائق الأرشيف العثماني.

وتنقسم المادة العلمية للكتاب إلى قسمين: القسم الأول يتضمن دراسة تحليلية موسعة لواحدة من أشد المراحل التاريخية حساسية في تاريخ المنطقة، في مطلع القرن التاسع عشر مع بروز الحركة الوهابية. في أراضي نجد والحجاز في أيام دولتهم الأولى فترة عبد العزيز (1218هـ / 1179م) الذي هاجم بالتحالف مع ابن عبد الوهاب الحرمين واستولى عليهما، مما استدعى السلطان العثماني سليم بن مصطفى (1223هـ / 1808م) أن يوكل أمر تطهير الحرمين من الاحتلال الوهابي إلى محمد علي باشا والي مصر وتمكن من ذلك.

سعى القسم الأول من الكتاب إلى تقديم قراءة عميقة لهذه الفترة الحرجة المثقلة بالصراعات والنزاعات في (178 صفحة) ما يشكل نصف حجم الكتاب تقريبا.

أما القسم الآخر؛ فخصه المؤلف لاستعراض ستين وثيقة من الأرشيف العثماني مع إدراج صورها. فقد كانت الدولة العثمانية حريصة على توثيق هذه الحوادث المهمة. وهي وثائق تكشف، ضمن ما تكشفه، مواقف الدولة العثمانية من هذه الأحداث من خلال الفرامين والمكاتبات التي تجري بين القادة العسكريين وأشرف الحجاز من جهة والسلطان العثماني وحكومته من جهة أخرى.

وتساهم الوثائق التي تنطوي على أهمية خاصة لتاريخ المنطقة في سد النقص الكبير، وحلّ الكثير من الاختلافات الموجودة بين الروايات والمعلومات التاريخية التي وصلت إلينا عن شيخ الوهابية محمد بن عبد الوهاب واتباعه وحليفه محمد بن سعود.

مهدي عبدالله يصدر الجزء الرابع من سلسلة «نكهة الماضي»

صدر عن «دار فرايس للنشر» الجزء الرابع من سلسلة «نكهة الماضي» للقاص والمترجم مهدي عبدالله. وتضمن هذا الجزء مواداً تاريخية مترجمة، وأخرى معدة حول مملكة البحرين، خلال القرن العشرين، وبالتحديد العقود السبعة الأولى منها.

ويأتي هذا الكتاب استكمالاً للأجزاء الثلاثة السابقة، إذ صدر الجزء الأول باللغتين العربية والإنجليزية في العام 1994، تلاه الجزء الثاني باللغة العربية في العام 1996، ثم الجزء الثالث باللغة العربية أيضاً في العام 2007.

ويقول الكاتب عن مصادر كتابه بأنها «متنوعة بعضها جاء باللغة العربية والأخرى باللغة الإنكليزية، ومنها وثائق الإرسالية الأميركية في الخليج العربي؛ والتقارير السنوية لحكومة البحرين، الصادرة باللغة الإنجليزية من

الأربعينيات حتى الستينيات؛ وكتاب «البحرين ترحب بكم» لجيمس بلجريف وكتاب «من بدايتنا حتى يومنا الحاضر» لنانسي خضوري؛ و«مشاهد الحياة المتغيرة» للباحثة أنجيلا كلارك وكتاب «ساحل القراصنة» لتشارلز بلجريف. علاوة على المصادر العربية الكثيرة، تتضمن المصادر كتباً ومجلات بحرينية مختلفة وجرائد قديمة وندوات ومحاضرات حول تاريخ البحرين وتراثها.

كما يشمل الجزء الرابع من «نكهة الماضي» العديد من الصور القديمة التي ينشر بعضها لأول مرة، إلى جانب المواضيع التي تتطرق لكتاب «البحرين ترحب بكم»، و«مدن وقرى البحرين في الخمسينيات»؛ و«حكايات بنكهة برتغالية»؛ وذكريات أجنيين عن البحرين، واليهود في البحرين، وكذلك عن خليل عقاب الذي أبحر البحرينيين بفنونه.

إضافة إلى ما تقدّم، هناك مواضيع بعنوان «ربع سكان البحرين يصابون بالأنفلونزا»؛ و«مستشفى نواياه غير حسنة»؛ و«الحباري والغزلان في أم النعسان». ويتطرق الكتاب إلى جرائم الخمسينيات، إلى جانب الحياة الثقافية في البحرين في العشرينيات، وتاريخ الزراعة البحرينية، ورمضان في منتصف الستينيات، وقرى البحرين المندثرة، والصحافة والإذاعة في بداية السبعينيات، وتحريم التصوير، والتسلسل إلى البلاد قديماً، وتقرير فالانس عن التعليم.

ولقد جاء تحت موضوع «مدن وقرى البحرين في منتصف الخمسينيات» حديث حول المنامة يقول فيه المؤلف : «تقع مدينة المنامة، عاصمة البحرين، التي كان يبلغ عدد سكانها 648، 390 نسمة في العام 1950 على الساحل المنخفض في الطرف الشمالي لجزيرة البحرين. ومعظم

«إن المنظر الأكثر جاذبية للمنامة هو من جهة البحر. فلدى الوصول إلى الميناء من السعودية يشاهد المرء صفا طويلا من المنازل العالية البيضاء المزينة بشرفات مظلمة (فرنديات)، ترتفع فوق الماء ذي اللون الساحر».

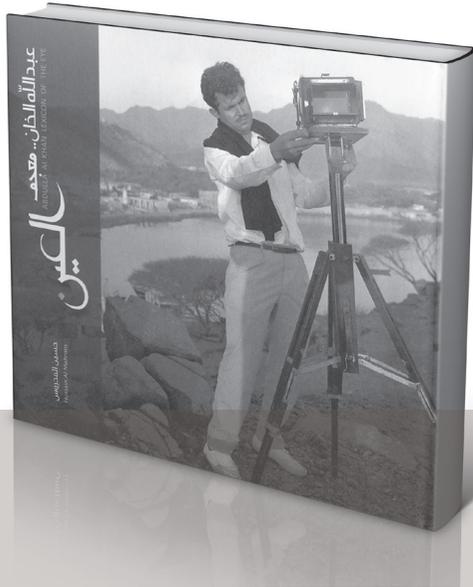
أجزاء المدينة لا يزيد ارتفاعها عن قدمين أو ثلاثة أقدام عن مستوى سطح البحر، وعلى عمق صغير تحت الأرض. يوجد ماء مالح قليلا وهو السبب في الرطوبة الزائدة خلال فصل الصيف. وتمتد المدينة إلى مسافة ميل ونصف الميل على الساحل الشمالي ونحو المسافة نفسها باتجاه الساحل الشرقي. مع أن المنامة ومعناها «مكان النوم» بدأ إنشاؤها، حسبما هو معروف، في القرن الخامس عشر الميلادي. وقد ذكرها البرتغاليون في وثائقهم، إلا أنها لا تحتوي على أية مبان قديمة، وربما كان أقدم أثر تذكاري فيها هو قبر الشيخ أحمد آل خليفة الذي فتح البحرين في العام 1783.

ويتابع المؤلف: «إن المنظر الأكثر جاذبية للمنامة هو من جهة البحر. فلدى الوصول إلى الميناء من السعودية يشاهد المرء صفا طويلا من المنازل العالية البيضاء المزينة بشرفات مظلمة (فرنديات)، ترتفع فوق الماء ذي اللون الساحر. وحول رصيف الجمارك الذي يمتد داخل البحر لمسافة ربع ميل هناك عادة ما بين 70 إلى 80 مركبا صغيرا و«لنشا» التي تملأ أطقمها سلع الشحن الرصيف عن آخره. وتخترق سماء المدينة منارتان أو ثلاث، أعلاها ارتفاعاً منارة مسجد الجمعة (جامع الفاضل)، بينما يمكننا أن نرى على الساحل، في الجهة الشرقية من المدينة، أبراجا هوائية جميلة كانت تستخدم لاجتذاب النسيم اللطيف قبل مجيء أيام المراوح الكهربائية ومكيفات الهواء.

عبدالله الخان... معجم العين

حسين المحروس يلتقط «سيرة» مؤرخ الصورة

رصد الكاتب «حسين محروس» حياة المصور الفوتوغرافي عبدالله الخان بالصور والكلمات. وضمّن كتابه 520 صورة التقطها «الخان» في مراحل مختلفة من حياته المهنية. وقسّم مؤلفه إلى بابين: الأول يحكي سيرة الخان الفنية



مدرسة الهداية الخليفية ومدرسة المنامة الثانوية والدراسة الجامعية في بريطانيا، ومرحلة العمل وبدأتها في باهوا وأعدّها مرحلة مهنية وتدرسية في أكبر مدرسة تعلّمت فيها أصول مهنة والتصوير، ومن ثمّ العمل في مؤسسة صقر للتصوير لمدة 35 سنة».

ويضيف: «في العام 2005 افتتحت شركة خاصة (شركة البحرين للتصوير)، وهي عبارة عن عملية إيجاد أرشيف قومي يحكي تاريخ البحرين، ويحتوي على مليون و200 ألف صورة، وأخيراً مرحلة حياتي في الفرغان والدواعيس والمساجد بمدينة المحرق وقصص الأصدقاء وصورهم».

في عالم التصوير الضوئي، فيما يتناول الثاني سيرته الحياتية. ويقول محروس: «استمتعت شخصياً بتجربة الكتاب الذي يحمل سيرة الصديق المصور القدير عبدالله الخان، والذي أعدّه إنساناً يستحق التقدير. والسبب في تسمية الكتاب «عبدالله الخان معجم العين»، أن الخان يقع ضمن الذاكرة البصرية الفعلية والتاريخية الوحيدة للبحرين وكل ما يتعلق بالبحرين وشؤونها تجده لديه، هو أشبه بموسوعة صور». ويضيف «بدأت بجمع المعلومات حول سيرته منذ العام 2003 من خلال الجلوس معه يوماً لأكثر من ساعتين والسفر معه إلى الخارج. وتعلّمت منها الكثير وبصفتي مصوراً فوتوغرافياً تعلّمت الكثير في المهنة. وهو إنسان وشخصية مختلفة ومحبة للجميع، حساس لأبعد الحدود، وهذه ميزة لا بد أن تكون لدى المصور».

ويقسم محروس كتابه إلى بابين: «الأول «حياة عبدالله الخان المهنية في عالم التصوير»، بحيث تكون هناك صورة وشرحها في الصفحة المقابلة. أما الباب الثاني يتكلم عن سيرته بشكل عام. والكتاب باللغتين العربية والإنجليزية، وشارك في ترجمته فاطمة الحلواجي ومحمد الخزاعي وفيشواز رات، ومن يستعرض الكتاب يكفيه أن يرى الصور دون تعليق.. فالصورة تشرح نفسها.

ويعدّ الكتاب الرابع الذي يجمع محروس والخان، بعد «المحرق وردة البحر» 2007، «ديمقراطية 73» 2010، «دفتر اللؤلؤ» وهي عبارة عن موسوعة.

ويقول المصور الكبير عبدالله الخان: «الكتاب يحكي عن الماضي والحاضر والأيام الجميلة، أيام أمطرت وأثمرت كشجرة نقطف داني ثمارها. الكتاب يضمّ 520 صورة كل منها بمثابة كتاب بأكمله. ويحكي عن مراحل حياتي في

مدير مركز "فينيكس" للدراسات اللبنانية: سنقل من الأرشيف العثماني 255 ألف صورة تتعلق بלבنا.

أعلن مدير مركز "فينيكس" للدراسات اللبنانية في جامعة "الروح القدس - الكسليك"، الأب جوزف مكرزل، إن التحضيرات لنقل 255 ألف صورة من وثائق تتعلق بلبنا في الأرشيف العثماني، إلى بيروت، قد بدأت فعلاً.

وقال مكرزل، لوكالة "الأناضول" يوم 13 أكتوبر/تشرين الأول 2015م، إن "هناك تواصلًا مع إدارة الأرشيف العثماني في تركيا لشراء 250 ألف نسخة عن وثائق تتعلق بلبنا، إضافة إلى حوالي 5 آلاف صورة فوتوغرافية عن لبنان، ونقلها إلى بيروت مستمرة"، من دون أن يعطي تاريخاً محدداً لبدء مرحلة النقل، أو أية تفاصيل حول أسعار تلك النسخ.

وأوضح أنه "لم نكن نعلم أننا متأخرون لهذه الدرجة فيما يتعلق بدراسة الأرشيف العثماني، وخطوتنا هذه هي الأولى من نوعها في لبنا"، مشيراً إلى أنها "خطوة علمية بحته من أجل كتابة تاريخ 400 سنة من عمر لبنا كان خلالها تحت حكم الدولة العثمانية".

وتأسس مركز "فينيكس" للدراسات اللبنانية في العام 2008م، وترتكز أهدافه على تجميع الموارد الوثائقية التي تعتبر المصادر الأساسية للدراسات المتعلقة بلبنا، إضافة إلى تعزيز الدراسات اللبنانية في الداخل والخارج، من

خلال تطوير بعض النشاطات كالمؤتمرات، والمنشورات، والمشاركة في الندوات، إلى جانب العمل على تأمين منح واتفاقات الشراكة مع جامعات ومؤسسات محلية ودولية.

وبشأن مؤتمر "تاريخ لبنا في الأرشيف العثماني" الذي نُظم في الجامعة نهاية سبتمبر/أيلول 2015م بحضور أكاديمي واسع، قال الأب مكرزل إن "هذه الخطوة مع السعي للبدء بدراسة الوثائق العثمانية المتعلقة بلبنا هي واجب، من أجل جمع أكبر قدر ممكن من الأرشيف المتعلق بنا، لنساعد الباحثين على إيجاد المواد الضرورية لأبحاثهم"، لافتاً إلى أن "هناك مرحلة من تاريخ لبنا، لا يمكننا أن نتخطاها، وهي موجودة في الأرشيف العثماني".



وتشمل المواد المؤرشفة عقود الزواج التي أبرمت في المسجد الذي يعود تاريخه لأكثر من مئة عام، وتفاصيل الاحتفالات الخاصة ومحاضر اجتماعات الإدارة ومجلس الأمناء، فضلاً عن تعاون المؤسسات المرتبطة بالمسجد مع المنظمات والجمعيات الأخرى بالمجتمع المحلي.

وتقول خبيرة الأرشيف في جامعة لندن آنا بيل جيل لـ "الجزيرة" إن هذا الأرشيف "يحتوي على وثائق فريدة تنقسم إلى ثلاثة أقسام، منها ما يتخصص بوثائق مسجد شرق لندن الحالي، ومركز مسلمي لندن الإداري الملحق به، كما تحتوي الوثائق على أوراق المسجد منذ تأسيسه مطلع القرن الماضي، وتحديدًا في العام 1910 وحتى الآن، وتشمل الأنشطة الدينية والاجتماعية والثقافية".

وتشير جيل إلى أن القسم الثاني يضم وثائق "جمعية جماعة المسلمين"، وهي التي تولت جمع التبرعات ودعم المسجد منذ مطلع القرن الماضي، وكانت مؤسسة منفصلة عن المسجد، فيما يتعلق القسم الثالث بوثائق جمعية خيرية لدعم دفن غير القادرين مالياً، وهي كيان منفصل عن المسجد ومستمر حتى الآن، "لكن هناك تعاون بينهما".



إطلاق أول أرشيف للمسلمين في بريطانيا

أطلق أول أرشيف للمسلمين في بريطانيا، يوم 10 فبراير/ شباط 2015م بعد الانتهاء من مشروع مشترك بين مسجد شرق لندن والأرشيف البريطاني بإشراف متخصصين في التاريخ وتوثيق تاريخ المسجد.

وأتاح القائمون على الأرشيف الدخول للباحثين الاستفادة منه والاطلاع على المواد الذي توثق التاريخ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للمسلمين في هذه المنطقة من لندن، وذلك باللغات الإنكليزية والعربية والبنغالية والأوردية، بالإضافة إلى إتاحة الاطلاع على أرشيف للصور.

«الأرشيف الوطني الإماراتي» يصدر كتاباً حول معايير الأرشفة الحديثة

أصدر «الأرشيف الوطني الإماراتي» كتاباً جديداً في علم الأرشفة بعنوان «النظام الأرشيفي المتكامل، يضم في 383 صفحة سلسلة من الدراسات تقدّم علم الأرشيف بمفهوميه النظري والتطبيقي، منطلقاً في ذلك من المثالين الجزائري والإماراتي للأرشفة.

ويشتمل الكتاب على قانون الأرشيف الوطني ونظامه الداخلي وعلى مقترحات من مؤلفه الخبير الدولي في علم الأرشيف، عبد الكريم بجاجة، لتنظيم الأرشيف في مراحل المختلفة، ووضع النقاط الرئيسية لحفظه في هذه المراحل، وتوفير تجهيزاته والشروط المناخية والوسائط وكيفية حمايته من الكوارث.

ويبدأ الكتاب بتعريف «الأرشيف» على أنه مادة وثائقية تشهد على تاريخ الحضارات وعلى النشاطات الرسمية لمؤسسات الدول وبقي هذا المفهوم ساري المفعول إلى اليوم، بينما تغير شكل الأرشيف من الصلصال إلى الورق ثم إلى الأرشيف الإلكتروني، وامتد مفهومه إلى كل الوثائق التي تنتجها جميع المؤسسات العامة والخاصة والجمعيات وحتى الأفراد.

ويبين المؤلف أن تاريخ الأرشيف بدأ مع الوثائق الرسمية في شكل ألواح من الصلصال التي اكتشفت في المشرق العربي في مصر وفي سورية، حيث اكتشفت في مملكة أوغاريت قرب اللاذقية مئتي وثيقة دبلوماسية واتفاقيات دولية ورسائل ملوك تتعلق بالدفاع عن الحدود والأوامر الإدارية والتموين وتنظيم الحرف والعقود الخاصة، موضحاً أن معظم الوثائق ترجع إلى القرنين الـ14 والـ13 قبل الميلاد.



مشروع رقمنة الوثائق والمخطوطات لمكتبة قطر يدخل مرحلته الثانية

دخل مشروع رقمنة الوثائق والمخطوطات النادرة لمكتبة قطر الوطنية مرحلته الثانية، خلال شهر يناير/كانون الأول 2015م، والتي تركز على منطقة الخليج.

وأعلن بدء المرحلة الثانية من المشروع خلال فعاليات المنتدى القطري - البريطاني «الطريق إلى الأمام» في مقر جامعة «كينغز كوليدج» البريطانية، بحضور مندوبين عن مكتبة «قطر الوطنية» وجامعة «حمد بن خليفة» و«الصندوق القطري لرعاية البحث العلمي».

ونقلت صحيفة «الشرق» القطرية عن المدير التنفيذي لـ«صندوق القطري لرعاية البحث العلمي» عبد الستار الطائي عرضه، في ورقة قدمها خلال المنتدى، للإنجازات التي تمت خلال العمل في المرحلة الأولى من مشروع الرقمنة، وتحديد كل ما سوف يتم إنجازه في المرحلة الثانية من المشروع.

وأنهيت المرحلة الأولى من المشروع وتم وضعه على شبكة الانترنت في نوفمبر/تشرين الأول 2014م، ليقدم 500 ألف وثيقة ومخطوطة نادرة تتحدث عن المنطقة إلى الباحثين والدارسين والأكاديميين المهتمين بمنطقة الخليج.

اقترح خطة خاصة بكل أرشيف، بينما تتضمن بعض الدراسات اقتراح سياسة لتنظيم الأرشيف في المدى القصير والمتوسط ومعالجة الأرشيف المبعثر وطريقة الرصيد الأرشيفي حسب المعيار الدولي «آيساد G» وتحديد سياسة لحفظ الأرشيف الإلكتروني في المدى الطويل، بينما تستعرض فصول أخرى النقاط الأساسية لإدارة الأرشيف الإلكتروني وحفظه في المدى الطويل وبرنامج تكوين الأرشيفيين لإدارة الأرشيف الجاري والوسيط وتقتراح معادلات اقتصادية لإنجاز مراكز الأرشيف».

ويدل الكتاب على «ما يتوجب فعله من أجل حماية الأرشيف من الحريق والتخزين من الغازات والمبيدات المستخدمة في تعقيم الأرشيف، وحمايته وتقديم البدائل لتجنب استخدام الغازات والمبيدات السامة التي قد تضر بالإنسان والبيئة وتزود الأرشيفيين والمكتبيين بالمعلومات الحديثة عن أساليب حماية الأرشيفات من الحرائق والحشرات والطفيليات».

ويوضح أن مصطلح «الأرشيف الوطني» ظهر أول مرة مع الثورة الفرنسية في العام 1790م حينما «اتخذ قرار تغيير «أرشيف المجلس الفرنسي» إلى «الأرشيف الوطني». ويستهدف الكتاب اقتراح صيغة من «قانون الأرشيف الوطني النموذجي» للبلدان المحتاجة إلى تشريع للأرشيف.

وتستعرض الدراسة الأولى من فصول الكتاب العشرين قانون «الأرشيف الوطني النموذجي» الذي «يراد به اقتراح صيغة من القانون للبلدان المحتاجة إلى تشريع للأرشيف، مثل بعض الدول العربية والإفريقية، ويسلط هذا القانون النموذجي الضوء على الأرشيف العام والخاص وعلى هياكل الأرشيف ومعالجته علمياً وإتلافه وإدارة الأرشيف الإلكتروني وحفظه والخدمات الأرشيفية ودور الأرشيف في ترسيخ الهوية الوطنية والمواطنة والذاكرة الجماعية والثقافة الوطنية، وغيرها».

وتتناول الدراسات التالية النظام الداخلي لإدارة الأرشيف في المؤسسات وتضع تنظيمياً علمياً وفق المقاييس العالمية والقوانين السائدة في الدولة ومنهجية وضع سياسة وطنية لإدارة الأرشيف، التجربة الجزائرية مثلاً، والأرشيف في دولة الإمارات العربية المتحدة: الواقع والآفاق». وتؤكد هذه الدراسة أن الأرشيف في المفهوم الدولي هو «وسيلة عمل وأداة تسيير للمؤسسات والتحكم في سيره ينعكس إيجاباً على حسن التسيير للمؤسسات مهما كان مجال تخصصها، ثم يدخل الأرشيف مع مرور السنين في المرحلة التاريخية فيوظف لكتابة تاريخ الأمم».

وتشخص دراسة أخرى وضع الأرشيف في الوزارات والدوائر الحكومية بهدف معرفة الوضع الحالي للأرشيف فيها قبل

«متحف رقمي» لتوثيق قصص بطولات المرأة المصرية في «ثورة 25 يناير»

أنشأت ياسمين إبراهيم (29 عاماً)، وهي ناشطة حقوقية مصرية في مجال حقوق المرأة متحفاً رقمياً على شبكة الإنترنت لتوثيق دور النساء في نجاح ثورة 25 كانون الثاني/يناير 2011م، وأسّمتها بـ«المتحف الرقمي للنساء»، وهو يجسّد قصص كفاح النساء المصريات أثناء الثورة.

وقالت ياسمين إبراهيم لموقع «المونيتور» إن المتحف، الذي أٌبصر النور، في «16 يونيو/حزيران العام 2013م، هو «نظام معلوماتي ثابت ومتجدّد، متاح على الإنترنت، يتكوّن من أربعة أقسام، هي: النساء والسياسة، النساء والإقتصاد، النساء والثقافة، والنساء والحياة الإجتماعية، نستقبل فيه كل فتاة قامت بدور بطولي أثناء الثورة، نستمع إليها، ونطلب منها كتابة قصتها، وطبيعة الدور الذي قامت به، لنعرضه على المتحف في الحال، حتى يعلم الجميع حجم تضحياتهن خلال الثورة، وذلك باستخدام التكنولوجيا الرقمية مثل الصور، الفيديو، الملفات الصوتية، والجغرافيك».

وأضافت أنها أسست «منتدى تفاعلياً يتيح للنساء المناقشة في جميع مناحي الحياة الإقتصادية والسياسية والثقافية بهدف تمكين النساء في مصر، قائلة «نقتصر على استقبال قصص النساء وكفاحن أثناء الثورة المصرية، والفترة التي أعقبها، لأن تلك الفترة فارقة في تاريخ مصر، ولابد أن تعلم الأجيال المقبلة ماذا قدمت المرأة المصرية لمصر». وأرجعت سبب إنشاء المتحف إلى «إهدار حقوق المرأة المصريّة وإنكار دورها التاريخي أثناء ثورة 25 كانون الثاني/يناير».

ويتضمن المتحف قسماً يسمى «بروفایل» وهدفه، بحسب إبراهيم، «تقديم صورة تعريفية عن مناضلات الثورة سواء كان هذا النضال سياسي أو اجتماعي أو فني، ومن بينهما، دعاء العدل، التي يطلق عليها، ريشة الثورة، حيث كانت تدون على حائط ميدان التحرير، «مفجر الثورة»، كفاح الشباب من أجل غداً أفضل».

وتعود أصل فكرة إبراهيم إلى «ندرة الأعمال التاريخية المتاحة للنساء في المشاركة السياسية خلال الفترة الممتدة بين العامين 1800م و1900م، باستثناء معلومات قليلة عن السيدة نازلي فاضل ابنة مصطفى باشا فاضل، التي كانت تعقد صالوناً ثقافياً مع الكُتاب والمثقفين، أثناء الثورة العرابية، وتحديدًا العام 1879م، لمناقشة الأوضاع السياسية. ولم يذكر التاريخ أي شيء آخر لإسهامات المرأة في تلك الفترة، وذلك اكتشفته بمحض الصدفة عندما كانت تعدّ ورقة بحثية لمؤتمر أعلنت عنه جامعة أوما السويدية» في العام 2008م لمناقشة أدوار النساء في الحياة السياسية خلال الفترة التي تقع بين العامين 1800م و1900م»، وسمحت الجامعة للناشطات والحقوقيات بالتوجه إليها لمناقشة دور المرأة في مجتمعاتهم».

وحصلت إبراهيم على جائزة «المركز الدولي للصحافيين» واختير متحفها ضمن أفضل ثماني مبادرات إعلامية على مستوى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، فخرجت إبراهيم بفكرة إنشاء متحف في وسط القاهرة للمرأة أيضاً يستقبل زائريه من كل أنحاء العالم، وشجّعته على ذلك الحملة التطوعية التي شاركتها في الرحلة منذ إنشاء المتحف الرقمي، المكوّنة من 20 شاباً وفتاة، ممن شاركوا في الثورة».

وزارة الأوقاف العُمانية تدبّن سلسلتين علميتين في «معرض الكتاب الدولي» في فرانكفورت

دشنت وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في سلطنة عُمان أخيراً، في «معرض الكتاب الدولي» في مدينة فرانكفورت الألمانية، سلسلتين علميتين، الأولى بعنوان «البرتغاليون في بحر عمان.. بين السياسة والدين» مختصة بالدراسات العُمانية والإباضية» في ثماني مجلدات تم تحريرها وترجمتها بخمس لغات «العربية والألمانية والانجليزية والصينية والعبرية».

وذكرت صحيفة «عُمان» أن السلسلة الأولى تأتي استكمالاً للمشروع الذي تم نشره قبل سنتين في 16 مجلداً، وهدمت ترجمته إلى ثلاث لغات هي: البرتغالية والانكليزية والعربية، فيما طبع من السلسلة الثانية ثماني نسخ، وتتولى دار النشر «جورج ألز» الألمانية طباعتها ونشرها.

وقدم رئيس تحرير مجلة «التفاهم» التابعة للوزارة، الدكتور عبدالرحمن بن سليمان السالمي نبذة عن سلسلة «البرتغاليون في بحر عُمان: السياسة والدين، التي حررها ومايكل يانزن، بالتعاون مع بدرو بنتو وكارستان لي وهيلموت سايبمان، وتتألف من 3208 ورقة قماشية في 10 مجلدات، فأشار إلى أنها تبين أن السلطنة والبرتغال «ترتبطان بتاريخ مشترك طويل لقي القليل من الاهتمام حتى الآن»، موضحاً أنه «بعد أن قرب فاسكو دا غاما رأس الرجاء الصالح في العام 1498م ومدد الإمبراطورية الاستعمارية البرتغالية إلى الهند، حيث بدأ صراع مستمر بين القوتين البحريتين. وفي العام 1507م سيطر البرتغاليون على الساحل العُماني وظلت على ذلك نحو مئة سنة حتى تمكنت القبائل العُمانية المتحدة من دحر الأوروبين عن

أراضيهم، كما قاموا بمطاردتهم في ممالكهم شرق أفريقيا وأصبحوا يحكمونها بأنفسهم».

وأضاف أن «هذا المؤلف ولد في العام 2004م حيث بدأ العمل بمشروع بحثي رئيسي بمبادرة وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، وكان الهدف من وراء ذلك هو العثور على وثائق من الأرشيف البرتغالي تخص السلطنة ليتم العمل على تسجيلها ومعرفة الالتقاء بين الثقافتين «العمانية و البرتغالية» في القرنين السادس عشر والثامن عشر».

وذكر السالمي أن «الملاحظات الدقيقة تصف الحياة اليومية خلال تلك الفترة فضلا عن الأشياء البارزة والمثيرة مثل استرداد السيطرة على مسقط من قبل إمام نزوى في يناير 1650م، وتقديم الوثائق رؤى غير متوقعة في العلاقات الاقتصادية والدينية والثقافية بين البلدين والتفاعلات المكثفة بين الشرق والغرب في العصر الحديث المبكر»، مشيراً إلى أنه «تم ترتيب النصوص في مجلد بثلاثة أعمدة متوازية بحيث يمكن أن ينظر إلى الأقسام جنباً إلى جنب واستكمال ضوابط النصوص المهمة التي قدمت خلال الدورة، بحيث يمكن أن ينظر إلى كل وثيقة طبق الأصل».

وحول سلسلة «دراسات إباضية وعمان»، فقد صدر الجزء السابع منها عن البروفسور بربارا مايكل وكولولاسكا، ورينهارد إيسينير، وحررها السالمي والدكتور هانز جاوييه، وأكد في مقدمتهما عن السلسلة أنها «ركزت على النصوص الإباضية المبكرة حتى يومنا هذا، وأن عُمان تعد نظارة الباحث بالمحفوظات والمخطوطات الأثرية والمعالم العريقة بدءاً بما قبل الاسلام وحتى اليوم، وبالمجتمعات القبلية المتعددة الحديثة».







ذاكرة الصورة



ذاكرة الصورة

«الدير» في صورة

رملة عبدالحميد*

75

جاءت الكلمة لتبدّد الصمت البشري، فأصبحت تتناقلها الألسن خبرا ووثيقة وتاريخا. لكنها قد تخطأ الوصف أحيانا، وتجانب الصدق في كثير منها، حتى جاءت الصورة لتحكي ما عجزت الكلمة عن وصفه، وما قد تنساه الذاكرة من تفاصيل، لتبقى الصورة خير شاهدٍ على التاريخ.

«الدير».. الزمان والمكان

«الدير»، قرية بحرينية ارتبط اسمها بدير الراهب الذي لم يعرف اسمه تحديدا، لكن مكان تعبده لا يزال موجودا بعدما تحول إلى مسجد فوق أعلى ربوة في القرية، وعرف بمسجد الراهب. تقع «الدير» في أقصى شمال المحرق، يحدها من الجنوب مطار البحرين الدولي، ومن الغرب البستين والبحر شمالا وسماهيح شرقا. مساحتها غير مستقرة حيث إنها تمتد من جهة الشمال.

أما عدد سكانها فحاليا يتجاوز 12 ألفا. «الدير» التي نتحدث عنها هي «الدير» السبعينات من القرن الماضي.

*كاتبة وباحثة بحرينية



جانب من ساحل الدير في السبعينات



مقبرة الدير المطلة على ساحل البحر في السبعينات

البحر هو قدر الدير وهي قدره

لقرية «الدير» إطلالة مميزة على البحر من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب شمالاً. وكانت منازل الأهالي قديماً تمثل شريطاً ساحلياً بالقرب من البحر، كانت مهنة البحر تفرض قوانينها وعاداتها على الأهالي، إذ تستوعب أهل البيت بما فيهم النساء. هو موطنهم وموطن رزقهم.

ويشير لوريمر إلى أن سكان «الدير» كانوا كلهم يعملون في الغوص، إذا كان لهم 25 شوعاً (نوع من المراكب) يستخدم منها 21 في صيد اللؤلؤ. واستمرت هذه المهنة حتى سنة الطبعة عام 1925م، حيث غرق نحو 15 سفينة من سفن «الدير» في عرض البحر. بعد هذه الحادثة، تقلصت مهنة الغوص حتى جاء اكتشاف النفط عام 1932م فلفظت أنفاسها الأخيرة. وبقي الأهالي يتعايشون على صيد السمك حتى يومنا الحالي. وقد ارتبطت بهذه المهنة عدة صناعات أبرزها صناعة الأقفاص فيما تعرف محلياً «القرابير».



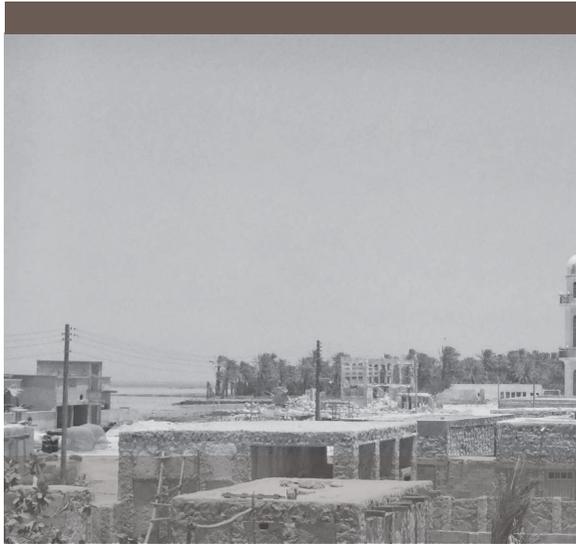
الفناء الداخلي لبيت المرحوم الحاج سلمان بن حسن في السبعينات



القراقير ما يستخدمه البحارة لصيد السمك في السبعينات

مسجد الخيف

لم يكن هذا المسجد هو أول مسجد في «الدير»، ولكنه أشهرهم وأكبرهم. تبدأ قصة هذا الجامع مع نهاية العام 1953م، حين قررت إدارة المعارف أن ذاك بناء مدرسة في القرية، واختار مهندسو الوزارة الأرض التي بني عليها جامع الخيف، وبعد أن تمّ الحفر، اجتمع الأهالي وعارضوا بناء المدرسة بدعوة افساد أبناء القرية، فقررت إدارة المعارف انشاء مدرسة أخرى في سماهيج، وكان ذلك في العام 1945م. ولم تقم مدرسة في القرية إلا بعد عشرين عاما، وكانت هذه المرة للبنات، عام 1972م، وظلت الأرض متنازعا عليها حتى تمّ الاتفاق على بناء مسجد. فعلق أحدهما متندرا: «هالله هالله.. مسجد الخيف» الموجود في منى.. فأطلق عليه هذه التسمية. وقد أقام الشيخ إبراهيم المبارك (رحمه الله) صلاة الجمعة التي استقطبت جميع أبناء القرية والقرى المجاورة.



جانب من القرية المطل على البحر في السبعينات



حوطة الحمير بجانب البحر وفيها العربات التي تجر الحمير وتسمى بالقاري في السبعينات



الشرفة المطلة على البحر لمصيف أسرة آل مطر المحرقة في الدير في السبعينات



جانب آخر من أطلال بيت مطر في السبعينات



بيت بن مطر

تعدّ «الدير» مصيفاً لكبار تجار المحرق، حيث إنها تطلّ على البحر وتمتاز بالبساتين والعيون الارتوازية. فجاءت عوائل عديدة لتصيف في الدير منها عائلة بن مطر، الذين بنوا لهم بيتا كبيرا على البحر، وبقيت أطلاله حتى مطلع السبعينات، وعُرف محليا بيت بن مطر. هو بيت يرجع للتاجر البحريني سلمان بن حسين بن مطر، وهو مصيف له ولعائلته في قرية «الدير» ويقع بالقرب من بستان ريا. ولقد بني له مسجدا يحمل اسمه حتى اليوم حيث تم إعادة بنائه في السنوات الأخيرة.



اطلال ما تبقى من بيت مطر في نهاية السبعينات من القرن الماضي

لعب الأطفال والشباب

اتخذ الأطفال ساحات الفضاء البعيد عن القرية لمزاولة ألعابهم، خاصة كرة القدم، وبعض الألعاب الرياضية. كما كانت البساتين، والتي تعرف محليا بالدوالي، مكانا آخر للتسلية وقضاء الوقت بين الخضرة والساب (مجري الماء). وكان الأطفال يساعدون أمهاتهم في أعمال مرتبطة بخوص النخل ويطبق عليه «السف» لصناعة السلال المتعددة الأحجام والإستخدامات وسفر الطعام.



الطفل عمران عباس يقوم بالسف (صناعة السلال) عند دكة بيتهم في السبعينات

79



عمود لعبة الطائرة في القرية في السبعينات



الشباب يلعبون كرة القدم في فناء أحد البيوت المهجورة في السبعينات



فرقة الليوه من طقوس الاحتفال بالزواج قديما في القرية في السبعينات



زفاف العريس حسن عباس من مسجد الخيف إلى بيت عروسه عام 1979م

الزواج

للزواج ممارسات خاصة في قرى البحرين، و«الدير» لا تخرج عن هذا العرف. ففي صورة تبين زفة المعرس من بيته إلى المسجد، للصلاة ركعتان، ثم إلى بيت العروس محاطا بمجموعة من الشباب والأطفال وسط أهالي الفرح.

نادي الدير

بدأت بوادر تأسيس النادي عندما أُسست أول فرقة لكرة القدم، حاملة اسم «فريق النهضة» في العام 1956م، وأخرى لتعليم اللغة الإنجليزية، ومنها اتفق الطرفان على تأسيس «نادي الدير الثقافي الرياضي»، في العام 1961م، وكانت البيوت هي مقر لهذه النادي حتى عام 1978م. ولقد تنوّعت نشاطات النادي، فشهدت صالاته في السبعينات جماهير حاشدة لمشاهدة عروض مسرحياته.



شباب النادي وهم يلعبون لعبة الكريم عام 1975م

81



مسرحية اجتماعية يقوم بها شباب القرية 1977



إدارة النادي 1976م

